

المحاور والبحوث

١٩١

رسائل الرجل النزي إلى الرعية والتقى
وغيرها من المؤلفات الفكرية

رسائل الرجل النزي
إلى الرعية والتقى
وغيرها من المؤلفات
الفكرية

د. لويس عوض

المحاور الست والخمسة

د. لويس عوض

المحاورات الجريفة

أود ليل الرجل الذكي الى الرجعية والتقمية
وغيرهما من المذاهب الفكرية

مؤسسة المعارف للطباعة
والنشر بيروت

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية

١٩٦٥ الطبعة الأولى : روز اليوسف الكتاب الذهبى
١٩٨٦ الطبعة الثانية : دار المستقبل

مقدمة لأبد منها

في الثالث من يونيو ١٩٦٥ اشتركت في مهرجان الادب الذي اقامته محافظة الدقهلية بمدينة المنصورة ، وتكلمت في ندوة حية اشتركت فيها مع الدكتورة بنت الشاطيء والاستاذ محمد زكى عبد القادر والاستاذ محمود العالم ، وكان موضوع هذه الندوة « لقاء الثقافات » والحق ان موضوع الندوة الذى اختاره لنا ادباء المنصورة السبان كان في حد ذاته موضوعا ذكيا يدل على حنق كبير في اختيار الموضوعات ، لآسيما وان المتكلمين كانوا يمثلون بقدر عددهم مختلف تيارات الفكر من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، ولم يكن ينقصهم الا اثنان ليمثلوا كل السوان الطيف او ثلاثة ليمثلوا كل درجات السلم الموسيقى .

فلا غرابة اذن ان كلن اجتماع هؤلاء المتحدثين في حد ذاته « لقاء ثقافيا » من نوع فريد ، ولست استبعد ان اهل المنصورة الاذكياء قد عمدوا ان يرتبوا هذا اللقاء ليظفروا بجلسة مثمرة ، والسدى نبهنى الى هذا انى سعدت قبل الندوة بالتعرف للمرة الاولى الى فضيلة الاستاذ محمد

الغزالي وأتيح لنا ان نتبادل الحديث خلال ثلاث ساعات قبل بدء الندوة ، من الغداء الى الاصيل في امور الفكر والثقافة وامور الدنيا والدين ، وانضم اليها الاستاذ محمد زكى عبد القادر ، ثم اكتشفت ان ذكيا من اذكيا المنصورة سجل كل مدار بيننا من حوار على ريكوردر على غيز علم منا . وقد اختلفنا قبل الندوة واثناها بما ارضى كل الاتجاهات الفكرية على وجه الارض . وليس هناك ما يدعو لان اعيد ما قاله القائلون او ان اتحمل مسئولية عرض افكار الغير فقد اتهم بتشويشها . ولا سيما ان الامر تعقد بعد الندوة الرسمية حين حمل اهل المنصورة ضيوفهم القاهريين نحو منتصف الليل في ركب من السيارات الي مصيف جمصة فوجدت نفسى على رمال الشاطئ بين عبد الرحمن الخميسى وصلاح عبد الصبور واحمد حجازى والدكتور عبد القادر القط والدكتور عز الدين اسماعيل وفاروق خورشيد ورجاء النقاش وعبدى بدوى وعامر بحيرى وعباس خضر . وعدد عظيم من الابداء والمتادبين . وكثير اللفظ وتفرق وتجمع وتشتت فى الرياح ورفرف بأجنحة فى الظلام على امواج البحر الابيض المتوسط ثم تلاشى الى الابد ولكن الذى لفت نظرى فى كل هذه المناقشات هو نوع الاسئلة التى كان يوجهها اليها شباب المنصورة ، وهم

بغير شك يمثلون قطاعا من شباب مصر ، فقد كان أكثر هذه الاسئلة اسئلة حائرة تريد ان تستطلع معنى « الرجعية » و « التقدمية » وتريد ان تستوضح حقيقة دور الاستعمار فيها يسمى عادة بالغزو الفكرى أو الغزو الثقافى ، ولانى أحسست بأن هذه الاسئلة الحائرة تعبر عن أشياء كثيرة عامة فى نفوس عدد كبير من الشباب الذين يسمعون هذه الالفاظ والعبارات تتطير كالشرر دون ان يعرفوا لها معنى محدد ، فقد دفعتنى هذا أثر عودتى الى القاهرة ان أتشبه بما فعله برناردشو ، فأكتب « دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » .

أكتبه من وجهة نظرى وفى حدود علمى وبوحى ثقافتى ونكوينى النفسى وربما من زاوية رجل تجاوز الخمسين جذوره الاجتماعية فى الطبقة البورجوازية المهنيّة والبيروقراطية التى أنقذتها الثقافة الانسانية من فردية المهنيين ومن تقليدية البيروقراطيين . وانا أنكر كل هذه المواصفات عن نفسى لاعتقادى أن للبيئة دخلا كبيرا فى تشكيل افكار الانسان واستجاباته ، بل ومقومات شخصيته الأساسية .

وبعد ان عدنا الى القاهرة قال قائل : وماذا لا تنقل ندوات المنصورة التى دارت فى مدرسة ابن لقمان وفى فندق الاكروبول وفى سيارات المحافظة وعلى بلاج جمصة فى صورة

محاورات جديدة مفتوحة تتدارس فيها كل هذه الآراء ،
وربما انتهينا الى شيء ينفعنا وينفع الناس ؟

قلت : لا بأس ، ولكن بشرط واحد : وهو أن تسود
روح حمصة في القاهرة .

قال : وما روح حمصة ؟

قلت : الا تذكر ليلة كذا تحت الخيمة العظيمة ، وهي
أعظم من خيمه السرك ، ويسمونها الكازينو فيما أعتقد ، كنا
نستشرف البحر المسالح ونأكل الكباب والدجاج حتى الفجر ،
والى جوارنا سبعة من طهاة النصورة وسفرجيتها يشوون
لنا اللحم بأمر المحافظ على الطريقة السكسونية التي
يسمونها طريقة « الباركيو » أو الشواء الدائر فوق النار
دوران حمصة البن ؟ كنا ساعتها نتجادل طويلا وعميقا
وخطيرا ولكن في هدوء ، لان رائحة الشواء التي جاءتنا على
أجنحة النسيم السارى من أرخبيل ايجة طمأنت قلوبنا وسكنت
أعصابنا كأنها انغام من مزامير كاريا او الحان من تيشارة
ايولية عزفت على أوتارها أنامل ايوليوس رب النسيم . وانتم
أدباء القاهرة ، ملتهبون ، ونحن في يونيو والحر لا يطاق وكل
موضوعاتكم ملتهبة ، فاذا وافقت ووافق الجميع ان يتم كل
شيء في ابتسام ، تجادلنا وتحاورنا الى ما شاء الله .

فالعصب ممنوع والزعل مرفوع ، ولا آظن اننا مستطيعون
ان نحل مشاكل الانسانية في جلسات .

قال : موافق .

وقالوا : موافقون ، بشرط ان نخلط الجد بالهزل والهزل
بالجد .

قلت : . ما الى هذا قصدت ، فنحن لن نتكلم الا
جدا في جد ، ولكننا سنقول كل شيء في ابتسام ، وحتى
لا يغضب احد سنستعمل الاسماء المستعارة ، ولن ننسب
اى راي الى قائله بالاسم والرسم حتى يزول الاحراج وتنسب
تحت الاقنعة الاساريير . وما دمننا في القاهرة ، وكل مننا
الى جوار مكتبته العامرة ، وعلى بعد اتوبيس من دار الكتب
ومكتبة الجامعة ، فهذه فرصة ذهبية لان نحقق كل ما نقوله
ونضبطه على مراجعه . واذا اقتضى الامر دعونا من نشاء
من الخبراء الاجانب ، من انلاطون وارسطو الى ت.س .
اليوت وجان بول سارنر ، بشرط ان ينصرفوا ويعودوا الى
بلادهم بمجرد اداء مهمتهم والادلاء بشهادتهم حتى لا تتحول
ندواتنا القومية الى مؤتمر لا يعلم عواقبه الا الله . اقول
لا بد ان يعودوا الى بلادهم فور انتهائهم من
عملهم ، فبعض هؤلاء تروقه مياه
النيل اكثر مما تروقه مياه التيمس والسين والهدسون

والفولجا والراين واليو فيتشبيث بالاقامة بيننا ولو بدون
تصريح ثم يدعو أسرته وعشيرته وأخيرا أمته الى الارتواء
من ماء النيل فيغتربوا منه حتى يجف شريان مصر • فما
بالكم بخبراء البلاد التي ليست بها أنهار ؟

وأخيرا أرجو الا يمانع احد في استحضار اشباح الادياء
والاجداد من أبووير وبنقأور - الى العقاد ومحمد مندور -
انا مثلا احب أن استحضر روح المعرى وابن خلدون
لاناقشهما في بعض مآقلاه ، وهذا حق متاح للجميع ، ولكن
أيضا بشرط ان يعود الاسلاف الى اكفانهم وقبورهم بمجرد
اتحافنا بآرائهم السديدة أو السخيفة ، حتى لا ننفضل عن
القرن العشرين وحتى لا يتكاثروا علينا ويملاوا قاعات
سميراميس وشبرد ومنتدياتنا الادبية والفنية فنجد أنفسنا
- في مجمع الاشباح وكأننا في الموقف ، - فبعض هؤلاء الموتى
أراذل يتسبثون بالحياة ولا يكتفون بعمرهم ولكن يريدون
أيضا ان يأخذوا عمر غيرهم •

قالوا : موافقون هل لك شروط أخرى ؟

قلت : نعم ، ان يشترك معنا في الحوار ادياء القاهرة
وفنادونها ومفكروها الذين تخلفوا عن حضور مهرجان الادب
في المنصورة ، مثل أعضاء المجلس الاعلى لرعاية الفنون

والآداب وهيئات تحرير مجلات وزارة الثقافة ومن شاء من أعضاء المجمع اللغوي والفنانين التشكيليين ورجال الموسيقى الخ . فبعض هؤلاء غاية في التسلية ولا سيما دعاة البعث العثماني ، ومن يؤمنون بتحقيق الوحدة العربية عن طريق نشيد « أنت عمرى » كما حققت ملينا مركورى الوحدة العالمية عن طريق « فى يوم الاحد مستحيل » وذلك المعارى العظيم الذى يدمن باخ ونيفالدى ويشترط على وزارة الاسكان هدم جميع مبانى القطر واعادة بنائها بقباب بيزنطية ومشربيات مملوكية .

وبعد ان فرغنا من كل هذه المداولات الاجرائية كان السؤال الاول بالبديهية هو : كيف نبدا ؟ واين نبدا ؟

قلت نبدا بالمسكات او الاقنعة . عثلا فلان وغلان وفلان من خيرة شبابنا المثقف العاكف على الآداب والفنون ، ولكنهم فى الواقع ليسوا ادباء ولا فنانيين ولا فلاسنة بعد ، ونرجو ان يكونوا كذلك بعد عشر سنوات . لهذا ساكتفى بنماذج او عينات منهم حتى لا يشوشوا على محاوراتنا بكثرة الصياح وحماس الشباب . ساكتفى بفلان وهو صبي ادبى فى شئون الشعر والنثر وذلك القالب الثالث الذى يسوفه الدراما وساكتفى بفلان وهو صبي تقاش استهوته الجوية فاشترك فى اتلييه القاهرة وذهب يلطخ القماش

بالتبقيح والتجريد والتجسيد والتكعيب والتلعيب بسدلا من تلتطىح الجدران ومن آن لآخر يلعب بالحجر والخزف والخشب ففدق عله بالازمفل ، وفسنفره • وساكنفى بفلان وهو صبى زمار قضى صباه فى درب العوالم المتفرع من شارع محمد على هفث اكادففة الزمارفن ثم خالط بعض الخواجات فى جازباند الكورسال والكونفنننال قّضحكوا عله واغروه بألة مضكة تسمى الكلارفنفة قبل ان فبلغ العشرين ، واعجبسه لبس السموكنج فأطلق شعر راسه ودخل الكونسرفاتوار ولكنسه كان دائما فخلط بفن كونشرفات ،وزار ودقات « أفوب المصرى» فنصلوه وقررر آن فحترف الفالف الموسفقى الذى ففصلح لخصر هدى شمس السدفن ، ولاوركسفرا القاهرة السفمفونى فى وقت واحد ، فعفن فى لجنة الموسفقى بالمجلس الاعلى للفنون والآداب •

وكان معه فى صباه غلام ، وهو صبى قردافى - واخفه الصغرى آكلة النار مئله من درب العوالم فى سن البلسوغ واشفغلا بمهبة البلفافشو على البفانولا فى شارع ألفى فك سنقن 'او ثلاثا وكان ففالفها نشفطا كعضلافهما فدخلا معهد البالفة ودرسا على ففد الخبفر الروسى جوكوف الذى لافظ ان مشفة فشارلى شابلن فى ألفى فك قوسف ساففه فقوفسا عضوفيا أو نفسفا ، وان أرفاف اخفه ثقلف بسسبب اكمل

التشويبات والمفتحة فأحالها الى الخبير الروسى رامازين الذى
عجز عن تقويمهما وتشاجرا به واتهما بمعادة القومية
العربية لانه يصر على ان يكون الرقص بالرجلين واليدين
وحدهما دون اشتراك الخصر ، ولما انتصر رامازين عليهما
فى هذه الازمة عادا واتهما بمعادة الاشتراكية والفن
الشعبى ، لان شعبية الفن فى مصر دعامتها الاساسية تشغيل
الجزء الاوسط من جسم الانسان . وهو لم يخرج بعد من هذه
الورطة وانما ينتظر ان تسحبه حكومه الاتحاد السوفيتى لانه
لم يفهم تماما كتاب ستالين فى المسألة القومية .

وبعد صبى الادبائى وصبى النقاش وصبى الزمار
وصبى القرداتى وصبية البلياتشو ، هناك فلان وهو صبى
فلفوس يدعو للجوانية والبرانية معا ويمضغ اسما كثيرة
غريبة من امبادوقليس الى ثراسيما خوس ومن الاكوينى
والبرت الكبير الى هولباخ وكوندورسيه وقد استطاع ان يوقف
قمة الهرم الهيجيلى المقلوب على قمة الهرم الماركسى المعدول
فبدا الهرمان فى شكل هندسى طريف شبيه بوضع اولاد
عاكف فى التمرين المشهور حيث يلتصق الراسان . وغير هؤلاء
صببان كثيرون وكل هؤلاء ليسوا بحاجة الى اقنعة لتخفى
شخصياتهم لان شخصياتهم لم تتكون بعد او تتضح فيها
ملامح مميزة .

ولكن المشكلة الحقيقية كانت في اعلام الكتاب والفنانين .
كان لابد ان اصنع لهم ماسكات يخفون وراءها ملامحهم ،
فذهبت الى امهر صانع اقنعة في القاهرة ، وكان هو نفسه
احد هؤلاء الاعلام ، وربما كان علم الاعلام ، وكانت هوايته
الاولى ان يصنع الماسكات للآلهة وانصاف الآلهة والابطال
رجالا ونساء ، وكان دكانه في برج عاجي ، فلما سمع المظاهرات
بقيادة ابن سيركوف . وابن ماركوف يعلو لغطها ويرتفع
هتافها : فلتسقط الأبراج العاجية ! فليسقط الفن الانعزالي !
نريد ماسكات ، نريد ماسكات ! الفن للمجتمع ! الماسكات
لابناء الشعب الا ماسكات لابناء الذوات . خاف ان يحرق
المتظاهرون دكانه ، او على الاقل ان يقتحموا عليه برجسه
العاجي نبتدول الى اسطبل ، فأخذ يصنع الاقنعة لكل من
هب ودب ويوزعها على الجماهر ، وكانت اقنعته طبعاً من
نوع رديء والاغلب انه كان يصب المصيص في قالب واحد
او قالبين ، ولكنه نجح على العموم في اسكات المتظاهرين
فانصرفوا عنه وتركوه يعمل في سلام .

قال صانع الاقنعة : لا تقمى يا حبيبى في مشاكلك ،
انأ رجل مسن واحب الهدوء وقد نجحت الى حد كبير خلال
ثلاثين سنة من العمل المتواصل في ان ارضى جميع الناس
اليمن واليسار والوسط - ولو اتي ساعدتك في صنع اقنعة

لادباء مصر وفنانيها لاغضبتهم منى ٠٠٠ هيا اصنع اقنعتك
بنفسك ، ونحمل مسئولية عمك .

قلت بيانسا : ولكنها ستكون اقنعة رديئة لا توافق ما
وراءها من وجوه ، او اقنعة شفافة تبدى كل ما تحتها
من ملامح . انا اريد ان تكون « المحاورات الجديدة »
محاورات فنية . حجة مثل محاوراتك ، لا محاورات فلسفية
سافرة مثل محاورات افلاطون . ألم تعلمونا ان الخرق بين
الفن والعلم هو الفرق بين الحجاب والسفور ؟ انظر لنفسك
مثلا : انت قد صنعت لنفسك تناعا ممتازا لبيسته اكثر من
ثلاثين سنة ، فلم يستطع احد ان يكشف من تكون او ان
يقرا ما يدور في رأسك من افكار ومعتقدات . لم يستطع
احد ان يعرف ان كنت على يمين الوسط او على يسار الوسط
تماما مثل سنكسبير - والقياس مع الفارق - كانت مهنته
الكلام ، ولم يستطع احد ان بجأ لغزه او ينسب اليه
آراء او معتقدات محددة رغم انه لم يكف عن الكلام طول
حياته .

قال . تسما : وما ادراك ان في رأسي آراء ومعتقدات
غير ما في رأيي شخصياتي ؟

قلت . هل يمكن لانسان ان يعيّن بلا آراء ومعتقدات؟

قال : تناعى لم يكشفه بعد انسان . لا عليك . أنت تريد ان تحل لغز الفنان في خمس دقائق . انا اذكر أيام ان كنت مع طه حسين في السافوا العليا ومعنا مدام طه ونحن في كوخ من تلك الاكواخ المسحورة وسط الغسابات المسحورة ، وكانت هناك بحيرة مسحورة اتعرف كيف استدرجنى طه حسين الماكر الى السافوا العليا فوجدت نفسى اركب القطار كانى مجرد من الارادة .

ثم مضى صانع الاقنعة بقص على قصه لا راس لها ولا ذنب ويبتهج أمامى بذكريات بعيدة حدثت نحو عام ١٩٣٦ وكانت ثمرتها كتاب كذا ، ولم يكف عن الكلام نحو ثلاث ساعات ، وكلما أردت ان اقاطعه قاطع مفاطعتى حتى اقتربت الساعة من الرابعة مساء فاستولى على اليأس تماها واصبحت مشكلتى ، لا ان اظفر من صانع الاقنعة باقنعة استر بها ، جوه شخصياتى سل كيف استخلصه واستخلص نفسى من حوائر ذكرياته . واستندجت صديقنا السندباد الجديد الذى أدرك نظرتى الضارعة .

فقال لقد آن الاوان لنعود الى زوجاتنا .

وهكذا حملنا السندباد الجديد على مدن . او على الاصح داخل - سيارته المرسيديس كما داب ان يفعل كل اسبوع وانزل كلاما عند زوجته ثم افداق هو ايضا الى زوجته .

ورأيت انه لابد مما ليس له بد ، مادام صانع
الاقنعة الماهر لا يريد ان يساعدنى ، لم ببق الا ان اصنع
اقنعتى بنفسى ، فاذا كانت رديئة او شفافة أه لا تناسب
اصحابها ، فهى على كل حال خير من لا أقنعة ، لقد مضى
الزمان الذى كان فيه أفلاطون يدير محاوراته على لسان
سقراط وجلوكون وتراسيياخوس وايون . الخ . فادبأونا
اليوم شديدا الحساسة ولا مناص من ستترهم بأقنعة ، ولكى
لا اعطيك ايها القارئ فرصة للابتهاج بذكائك ابتهاجا سريعا
لن أذكر لك اسماء « اشخاص المحاورات » أو أرتب لك الاقنعة
التي صنعتها بحسب أدوار اصحابها كما يفعلون فى الصفحة
الاولى من المسرحيات بل سأعرضها عليك مهوشة ومختلطة
حتى يختلط عليك امرها فلا تميز منها احدا الا بحسب كلامه
وسلوكة : واليك قائمة ببعضها :

أبوالفتوح الصباح ، الخشداش ايواظ . عز الدين
ايدمر الحيوى . خولة المايسطرية . الماركسية المسخنة
شجرة اللوى . أبو سيفين صفيح . ابن عروس . ابن قرمط .
الشاب الظريف أبوسنة ذهب لولى . خليع القبيلة . المعام
التاسع . المعلم العاشر . ناظر مدرسة ابن العميد . مجاهد بن
الشمخ . كافور الحاوى اغا كافور الحاوى . على الزبيقى
الجوكى الشهير بالزنبرك . ننانير ومعبد واياس . عميد
الصعاليك . بازعة بن شخبوط . اغا طبوزادة . أبو دراس

المنوفى • الفارس ألفروس • الفارس الجربوع • أفندم ؟ •
أفندم ؟ (هذا قناع وليس سؤالاً) الهر الاسود الحزين •
الحرفوش بلا حركشة • كاهن انوبيس • ابن روزنبرج • أبو
شموشة الحمى • ابن ماركوف • ابن سيركوف • اغنا أبو
سيفين صفيح • تاجر البهارات • الايديولوجى الفهلوى •
أبو المعالى قطز • الملوك الشارد • جراب اليسار مسلول •
حلاق الملوك والفقراء • المخلص الكفاء • المخلص الرأسى •
الذاتى الموضوعى • بقال العروبة • بقال الاشتراكية • بقال
الثقافة • الفارس المتعالى • على كل لون غلبان • على كل لون
مفترى • على كل لون عياش • ذو الاقنعة السبعة • جوركى
المذهور • المتكتك المحترم • المتكتك الدؤوب • المتكتك
الخيبان • المتكتك الشريف ••• حامل الحقائب ••• لولو
الجربان • غير ما يستجد من شخصيات وافنعة ، وشخصيات
بلا اقنعة وافنعة بلا شخصيات وعدد عظيم من
الكومبارس الذين يطلون برءوسهم لحظة أو لحظتين ليقولوا
« نعم يا سيدى » - ثم ينصرفون الى الابد •

ومن غير المعقول طبعاً ان يشترك كل هؤلاء فى الحوار
فى وقت واحد ، والا حدثت غاغة فى عالم الفنون والآداب
والعلوم الانسانية • ولهذا كان من الحكمة ان تنظم
محاوراتهم على طريقة البرنامج الثانى أو القناة التاسعة ،

أى ثلاثا ورباعا وخماسا وليس على طريقة الجمعيات
العمومية غير العادية • ثم نشأت اثناء المداولات نقطة
نظام •

اعترض معترض : وهل نحن بحاجة حقا الى كل هذه
الشخصيات لنجيب على الاسئلة التى طرحها علينا ادبساء
النصورة ؟

قلت : نعم ، واكثر منها ، وسترى بنفسك • ولكن المهم
هو حفظ النظام حتى لا يختلط الحق بالباطل أو نخرج من
هذه المناقشات بلا ثمرة أو يختفى الابتسام وتتصارب
وكأننا اعضاء البرلمان الفرنسى فى الجمهورية الثالثة •

قال على الزبيق الجوكى الشهير بالزنبرك : انما
معترض على هذه الاقنعة التى صنعتها لنا • خذ مثلا
قناعى • انه لا يناسبنى ، وسيظن الناس طول الوقت
انى شخص آخر •

قلت : لا تبغضب ، انما يلام صانع الاقنعة لانه أبى
ان يعاوننى • ومع ذلك الم نتفق على ان يتم كل شئ فى
ابتسام ؟ اذ لم يعجبك اجتهادى فأنا مستعد للعدول عنه •
أى قناع تقترح لنفسك ؟

وهنا سكت على الزبيق متدبرا ، وطال سكوته حتى
مل الحاضرون •

وحل صنائع الاقنعة هذه المشكلة بقوله : حتى لا نتعطل كثيرا ، أنا أعدكم بأنى سأصنع قناعا جديدا لكل من بضيق بقناعه ، لا بد من نقطة ابتداء وانهم ان نتقدم من هذه النقطة .

فهز الجميع رعوسهم علامة الموافقة فقد كانوا يكونون للشيخ احتراماً عميقاً وشاع في الاسارير سرور غامر .

اعترض الايديولوجى الفهلوى قائلاً : أنا أعترض على كل هذه الماسكات لانها جميعها ممسوخة ، وهى تظهر ادباء مصر وفنانيها فى مظهر زرى وتحقرهم فى عيون مواطنيهم .

قلت : انت تغالى . وما دمنا قد اتفقتنا على الابتسام فأول شرط من شروط الابتسام هو قدرة كل منا على ان يسخر من نفسه ومن قناعه . واذا اردت ان تسمينى المادى الميتافيزيقى أو البروليتارى البورجوازى او حتى صيبي البشرين فلن أغضب . أنا اسمى نفسى مركب الموضوع اللامركب من لا موضوع ، واذا وجدت ارداً من هذا فاقترحه وأحمد الله انى لم أتشبه بكليلة ودمنة أو بحواديت ايسوب ولافونتين فأصنع لكم اقنعة من رعوس الحيوانات ٠٠٠ كلاب وذناب وابناء، آوى وقطط ، كما كانوا يفعلون بآلهة مصر القديمة وفى اعياد ديونيزوس فى اليونان التلمية ولا يزالون

يفعلون في الديانات الزومورفية في بعض البلاد المتحررة حديثا
أو في بعض الاجناس التي لا تريد ان تنفرض مثل الهنود
الحمى .

ثم لا تنس ان اقنعتى اقنعة نماذج بشرية شائعة
لادباء مصر وفنانيها ، وليست نماذج لاناس بعينهم ، فنحن
جميعا من طينة واحدة وحتى هذه القوالب قوالب متكررة .
ابنقسم يا اخى !

واقترح آخر : مادمت تحدثم عن النظام فلا بد من رئيسي
لهذا المؤتمر المفتوح ولا بد من مقرر يدون كل الآراء .
قال رابع : فليكن الرئيس اكبر الاعضاء سنا .

قلت : تقصد المعلم التاسع ؟ هذا مستحيل . فليكن
نائبه هو صانع الاقنعة . هل من معترض ؟
وهنا صاح الجميع : موافقون ! موافقون !

قلت : وليكن المقرر المعلم العاشر فهو سريع التدوين .
هل من معترض ؟

وهنا سمعت اصواتا تزوم واصواتا تتهلل واصواتا
تريد ان تقول شيئا ولكنها لا تقوله . غير ان احدا لم
يتقدم صراحة للاعتراض .

قلت : السكوت علامة الرضا • ومع ذلك فمسيوزع
علكم المعلم العاشر كل محاضر الجلسات اولا بأول • ومن
رأى فيها اى تحريف أمكنه ان يصححه •

قال المعلم العاشر : متابلا : ولكنى اريد ان اشترك
فى المحاورات لانى اعلم انها ستدخل تاريخ الادب العربى فى
القرن العشرين ، وانا كما تقولون معلم ، والمعلم عنده دائما
ما يعلمه • ان المحاضر ستشغنى عن الكلام ، وهذه ستكون
مأساة حياتى •

قلت : لا بأس عليك • سجل كل شىء بالريكوردر كما
يفعل المقررون المصريون فى البلاد المتحضرة ، وتكلم ماشاء
لك الله ان تتكلم •

وهنا سأل سائل : وهل هذه المحاضر للنشر ؟

اجبت : رابى الخاص انها للنشر حتى يحاسب كل منا
فى كلامه ويحاسب على كلامه فلا نتراشق بالسباب أمام الناس
كما يتراشق جمهور كرة القدم بزجاجات الكازوزة • فاذا
وافقتم ، سلمنى المعلم العاشر محاضر محاوراتكم بعد التصديق
عليها وانا اتعهد لكم بنشرها فى «الاهرام» او فى غير الاهرام ،

وأرتفعت اصوات تقول ان النشر سيجول دون الكلام
بصراحة ، رغبة أو رهبة ، وتجعل كلامنا يلبس قناعا فوق

القناع الذى يكسوه ، واذا كثرت الاقنعة ضاعت الحقيقة .
وطالب البعض بعقد جلسات سرية عند الاقتضاء .

قلت : لا جلسات سرية ولا جمعيات سرية فى عهد
الاشتراكية . عار ان يقول هذا اديب مصر ونحن نحيا فى
ظل الميثاق . . . من تحرج صدره بشئ فنيقله على المسلا
ولكن فى حدود النظام . الم تعلقوا جميعا انكم بنسابة
الاشتراكية والديمقراطية بالفكر والكلمة ؟ ان الميثاق سمح
يدع كل الزهور تتفتح داخل الحديقة ونحن والله الحمد
جميعا نفى، بفيئها . أما من رأى لنفسه جنة نير هذه
الجنينة فليعض اليها فهو ليس منا .

قالوا صدقت : من استودعه الله شرف الكلمة امتسلا
بالروح وحمل العبء العظيم . فلنبدا الحاورات على بركة
الله .

× الإحاطة الأولى ×

فى العصر الذهبى

دق رئيس المؤتمر ، وهو صانع الإقنعة ، بعصاه على الارض ثلاثا كما يفعل القاضى على المنصة . او كما يدقون فى المسرح قبل رفع الستار وقال :

- باسم ربات الفنون التسع نفتح هذا المؤتمر .

ثم استدرك قائلا : اقصد الربات التسع لا الفنون التسع لان الفنون سبعة ولا اعرف كيف جعل اليونان تسع ربات يشرفن على سبعة فنون ، ثم انى لا افهم كيف جعل اليونان الفلك من اختصاص ربات الفنون ٠٠٠ ومع ذلك فالينا بجدول الاعمال ٠٠٠ ماهى القضية الاولى ايها السيد المقرر ؟

قال المقرر ، وهو المعلم العاشر :

- كان اول سؤال هو سؤال طرحه شاب فى مهرجان المنصورة ٠٠٠ نسمع كثيرا عن الرجعية والتقدمية فما تعريف الرجعية وما تعريف التقدمية وهل هناك مقاييس نستطيع ان

نحكم بها على رجل ما نستمع له أو نقرا له أو نرى سلوكه في الحياة بأنه رجعي أو تقدمي ، ثم ما صحة ما قرأناه في مجلة « المصور » من استثناء الرجعية في البلاد في زمن الزحف الاشتراكي ؟ احمد بهاء الدين قال ان هناك ستمائة الف رجعي مقابل ستمائة تقدمي .

قال ((المخلص الراسي)) : احمد بهاء الدين قال مقابل ستمائة شيوعي ، ولم يقل مقابل ستمائة تقدمي ٠٠ اذا اردت احصاء التقدميين ففي البلاد ستة ملايين تقدمي .

قال الايديولوجي الفهلوي : هذا يحقد الامور لان الشيوعيين المصريين منذ الاربعينات يحتكرون لقب التقدميين وهذا قد يحدث، ليسا لانه قد يوحي بان البلاد فيها ستة ملايين شيوعي ٠٠٠ والحقيقة ان البلاد فيها ، منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ستة ملايين تقدمي اما الشيوعيون فعددهم لا يتجاوز ستمائة ٠٠٠ ارجو النص يا سيدي الرئيس على هذه الاعداد ٦٠٠ شيوعي ٦٠٠٠٠٠ رجعي ٦ ملايين تقدمي ، والا حدثت بليلة .

صانع الاقنعة : لا داعي للنص ، فالمسألة واضحة ٠٠٠ ومن له تحفظ ليؤجله الى آخر المناقشة ٠٠٠ هذه نقطة نظام .

الفارس المفروس : أولا انما احب ان اجيب على النقطة
الاخيرة وهى استثناء الرجعية بالذات فى عهد الزحرف
الاشتراكى ٠٠٠ ليس صحيحا ان هناك استثناء للفكر
الرجعى ازاء التجدد الاشتراكى لان الاستثناء لا يكون
استثناء الا اذا استشرى والدليل على انه ليس هناك
استثناء ان وزارة الثقافة انشأت فى ٢٣ يوليو ١٩٦٣
مجموعة من المجلات تلتفتها الرجعية لتاليف المثقفين على
مبادئ ميثاق ١٥ مايو ١٩٦٢ وكان اسمها المغفور نهما
« الرسالة » و « الثقافة » وقد فعلت هذه المجلات كل
ما فى وسعها لتلفت الانتظار ، فجمع كتابها كل ما فى الحوارى
من طوبى وزلطف وقطع حديد خردة وصفائح سردين فارغة
وزجاجات مكسورة وبلغ قديمة واخذوا يرنسقون بها المارة
دون تمييز ومع ذلك لم يلتفت اليهم احد ٠٠٠ وجربوا
تلقيب الحواجب واخراج اللسان وبطخ النفس على طريقة
الفلاحين المصريين لا على طريقة فقراء الهنود ، ومع ذلك لم
يجد احد فى ذلك تسلية كبيرة ٠٠٠ واما يئسوا جربوا
اللعب بالنار والمفرقات فلم يخرج منها شئ اكثر من القمر
والنجوم وبومب العيد ، اسالوا ناظر مدرسة ابن العميد .
وهو رئيسهم ٠٠٠٠ انه جالس هناك ٠٠٠ رغم كل هذه
الالاعيب لم يزد توزيع « الرسالة » عن ٢٠٠٠ نسخة ٠ بدأ
٥٠٠٠ وانتهى ٢٠٠٠ كيف تفسروا هذه الظاهرة : أقول

ان ماجد منذ الزحف الاشتراكي ليس ازدهار الرجعية بين
المثقفين وانما مجرد تجمع عصابات مدربة معادية للاشتراكية .
ناظر مدرسة ابن العميد : هذا كذب « الرسالة »
كانت توزع نصف مليون نسخة .

صائح الاقنعة : يا فارس يا مفروس اسكت احترم
شيخوخة حضرة الناظر .

على المرء أن يسبحى وليس عليه ادراك النجاح .
الفارس المفروس : انا فقط اردت ان اوضح ان البلد
بخير .

الخشدائش ايواظ : وكيف البت «الثقافة» و «الرسالة»
المثقفين على مبادئ الميثاق ؟

على التزييق الجوكى : انا اجيب على هذا السؤال . .
الميثاق نادى بالتقدمية والنظر الى الامام . ومجلات وزارة
الثقافة نادت بالرجعية وعبادة السلف الميثاق نادى
بمساواة المرأة بالرجل وبتحرير المرأة من اغلالها ، ومجلات
وزارة الثقافة نادت بانحطاط المرأة وبضرورة اعتقالاتها في
الحريم الميثاق نادى بالاشتراكية العلمية ومجلات وزارة
الثقافة نادت بالاشتراكية البورقويبية الميثاق مجد

رفاعة الطهطاوى ولطفى السيد وبفلسفة الاخذ والعطاء، مع الحضارات الاخرى ومجلات وزارة الثقافة مجدت اغلاق النوافذ وتحسرت على انسلاخ مصر من الامبراطورية العثمانية الميثاق دعما لتنظيم الاسرة كجزء من برنامج التنمية ومجلات وزارة الثقافة كانشحت تنظيم الاسرة • الميثاق دعا لتجديد الحياة على ارض مصر بالتجربة والخطأ فى الفكر والادب والفن والعلم والاقتصاد ، ومجلات وزارة الثقافة أعلنت ان كل تجديد خروج على الدين والقومية وعلى نراث الآبساء والاجداد ••• بل أكثر من هذا ••• ففى عصر الاقمار الصناعية والاوتوماسيون نشرت مجلات وزارة الثقافة ابحانا ضافية لاثبات وجود العفارىت والبعايع ••• كل هذا مدون بالحرف الواحد فى مجلات وزارة الثقافة •

صائغ الاقنعة : انتقلوا الى الموضوع الاصلى •

المعلم العاشر : عندى تعريف للرجعية وهو تعريف اتيمولوجى وعضوى فى وقت واحد ••• الرجعية من رجح يرجع والرجوع طبعاً لا يكون الا الى الوراء ••• ولم نر قط رجوعاً الى الامام الا فى حالة واحدة هى بغلة البهاء، زهير حيث يقول :

لك يا صديقى بغلة

ليست تسالوى خردلة

تمشى فتحسبها العيو
ن على الطريق مشكلة
وتخال مدبرة اذا
ما اقبلت مستعجلة
مدار خطوتها الطويـ
لة حين تسرع انهلـه
تهتز وهي مكانها
فكانما هي زلزلة ٠٠٠

او على الاصح : بلغة البهاء زهير تتقدم الى الوراء
ومن يستطيع ان يتقدم الى الوراء يستطيع ايضا ان يرجع
الى الامام فالرجعى اذن هو من اراد للمجتمع او لنفسه ان
يرجع الى الوراء ٠٠٠ واما منشؤها فهو اعتقاد الانسان ان
حياة القدياء ، حياة الآباء والاجداد - والاجداد قبل الآباء
- كانت العصر الذهبى للحياة اى حين كان الرجال رجالا ،
قائمة كل منهم متران ٠

ومن الناس من يعتقد ان الارض سكنها العمالقة
بالفعل قبل ان يسكنها البشر ٠٠٠ وبالطبع فى هذه الرؤيا
للعصر الذهبى محال ان يكون هناك مكان لداروين ولاماركس
وعامة اصحاب التطور المساكين او الملاعين ، لان الاحياء
كانوا كاملين ثم انحطوا درجة درجة مع توالى العصور

والدهور حتى آلوا الى هذا المسخ الذى نراه اليوم ، ولم يكونوا انواعا ساذحة ثم تطورت وارتقت درجة درجة حتى خرج منها انسان اليوم .

صانع الاقنعة : على العموم « الرسالة » و « الثقافة »
اغلقتا فى اوائل صيف ١٩٦٥ ، والضرب فى الميت حرام .

الايديولوجى الفهلوى : بعد اذنك يا سيدى الرئيس المنابر ماتت ، نعم . اما للإفكار فهى لا تزال ترعص . ومن وقت لآخر ينتجع اصحابها مثل جماعات الكوكلوكس كلان ويلبسون الزعابيب والطراير البيضاء كالاشباح ، يرقصون حول النار ، ويطلقون السهام والاعيرة النارية مثل الهنود الحمر والعيار الذى لا يصيب يدوش . فيحسب الناس انهم جيش من التنتر ويدخلون البيوت ويختبئون .

ثم هناك مسألة التوثيق . فالمؤرخ سنة ٢٠٠٠ لثقافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ لن يعرف ان هذه المجلات ماتت بالسكتة القلبية .٠٠٠ من قلة التوزيع .٠٠٠ سيدهش حين لا يجد كلمة واحدة فى صحافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ ترد على ترهات مدرسة ابن العميد والخشداش ايواظ وعز الدين ايدهم المحيوى واغاطبو زاده ، سيظن المؤرخ من نبرتها المجلطة انها كانت تقود الراى العام ضد الليثاق ، لاسبـ

من سجل يعرف منه المؤرخ ان في السويداء رجالا ٠٠٠ نحن
لم نرفع الراية البيضاء ، والحرب لم تنته بعد .

ابو الفتوح الصباح : اذا كانت حذو هي الرجعية
فأنا رجعي ، ولتحيا الرجعية .

الخشداش ابواظ : فلتحيا الرجعية ٠٠٠

كوراس من عز الدين ايدهر وانما طَبوزادة وابو المعالي
قطز وبازرة بن شخبوط : فلتحيا الرجعية .

مجاهد بن السماخ : أنا سبق لي ان اوضحت كل
هذا في مجلة « الرسالة » واثبتت ان الرجعية هي حياة
السلف الصالح وان كل سلف صالح ٠٠٠ اهتفوا معي :
فلتحيا الرجعية ٠٠٠ فليحيا العصر الذهبي .

الخشداش ابواظ : فليحيا الآباء والاجداد .

كوراس ايدهر وطَبوزادة وقطز وشخبوط : فلتحيا
الرجعية فليحيا العصر الذهبي ، فلتحيا السلف .

كافور الحاوي : احذروا يا سادة ٠٠٠ هذا كمين ٠٠٠
لا تقولوا فلتحيا الرجعية ٠٠٠ كونوا رجعيين ولكن اهتفوا
فلتستط الرجعية ٠٠٠ وليكن هتافكم اعلى من هتاف التقدميين
هذا منطلق العصر ٠٠ كونوا رجعيين نصريين ، واننا معكم

أنا مثلا رجعى عصرى ، عندى دكتوراه من الخارج والبس
جاكتة سكوتش واضح المنديل فى كمى واشرب الببيرة ٠٠٠
فلا يتصور أحد انى رجعى ٠ ولكنى مع ذلك رجعى وعنسى
ان كل الرجال عبيدوان كل النساء اماء ، انا طبعا لا
أجاهر بهذا لانى عصرى ولكنى أطبقة عمليا ٠٠٠ وفى الثقافة
مثلا ٠ كنت اساعد الحلفاء ايام الحرب بتجنيد المثقفين
لمؤازرة العالم الحر فلما اتوكسوا فى العلمين وجدت ان
صالح الوطن وصالحى يقضيان بأن ادرس كتاب « كفاحى »
وان اهتم بنيتشه وفاجنر ٠ فلما سطع نجم حسن البنا
وهنرى كوريبيل فى وقت واحد ارتبكت قليلا ، ولكنى وجدت
الحل : دخلت الاخوان سرا وتزوجت من ماركسية علنا
لاهديها الى الصراط المستقيم ٠٠٠ كل هذا مع محافظتى
دائما على صلاتى بالديوان الملكى ثم دخلت جنة النقطة
الرابعة ٠ وهانذا اليوم ارتع فى جنة الاشتراكية العربية كما
ترون ، ومع ذلك فانا لم أتغير ٠٠ سلطتى زادت وشهرتى
زادت ومحفظتى زادت ٠٠٠ طبعا سمعتى ساءت بين المثقفين
ولكن ماذا يهم ٠٠٠ يقولون انى انتهازى ٠٠٠ ولكنهم مغفلون
لانى فى الواقع رجعى ٠٠٠ رجعى عصرى ٠٠٠ وهناك آلاف
مثلى ، رجعيون عصريون ٠٠ كلهم تعلموا فى الخارج وكلهم
يشربون الببيرة ويضعون المناديل فى اكمامهم ، ومع ذلك ليست
لهم سمعة اطلاقا ٠٠٠ فلماذا كل هذا الضجيج حول سمعتى؟

انسا انتهازى ؟ فليكن ٠٠٠ ربما كنت انتتهز ، ولكنى لا انتتهز
لنفسى فقط وانما انتتهز لمبىدتى أيضا - اليس هذا ما يفعله
على الزيبق الجوكى ؟ هو يفعل الشيء ويسميه « مرحلية »
لانه جوكى ٠٠٠ لانه مولع بالسباق ٠٠٠ عندى ان المرحلة
هى المعادل الموضوعى للانتهازية على النطاق السلوكى ٠٠٠
المعادل هو القناع أو البرقع ٠٠٠٠ القناع للمذعورين ٠٠٠
البرقع للضعفاء ٠٠٠ وانسا قوى ، فانا بغير حاجة الى معادل
٠٠ انسا ادخل راسا فى الموضوع الكارت على المائدة ٠٠٠ وأنا
قوى لانى حللت مشكلة الضمير ٠٠٠ لا افنعه ٠٠٠ لا براغم
لا ضمير ٠٠٠ لا نفاق ٠٠٠ لهذا انسا واضح ومفهوم أما
على الزيبق لجوكى فغير واضح وغير مفهوم ٠٠٠ المهم ان
يخدم الانسان مبداه فى كل زمان ومكان وتحت أى ظروف
٠٠ وما جدوى المبدأ بغير صاحب المبدأ ؟ لهذا كان شعارى
دائما « انج بجلدك » ٠٠٠ وافضل طريقة معروفة للنجاة
بالجلد هى تغيير الجلد ، وعندى ان تغيير الجلد افضل
من لبس القناع ٠٠٠ وبلا قناع اقول انسا مبدئى الفردية
لاننى فرد ٠٠٠ انا اعرف انى انسا ولست غيرى ٠٠٠ والوجود
عندى مكون من « انسا » فى طرف و « الآخرين » فى الطرف
الآخر ٠٠ والآخرون لا وجود لهم الا من خالى ، فوجودى هو
دليل وجودهم ٠٠ انا اعرف انى فرد ولست جماعة ٠٠ وسأظل
فردا حتى يثبت لى ابن سيركوف وابن موركوف انى جماعة

٠٠ ولكن ليس من الحكمة الآن أن أعلن في كل مكان أنني فرد
بأدام كل فرد في مصر يصر على أنه جماعة ٠٠٠ أنا
باختصار وصلت لحل المعادلة الصعبة وهي كيف تكون فردا
وجماعة في وقت واحد بالمعادل الموضوعي : أنا والكون
طرفا المعادلة ٠٠٠ والكون هو معادلي الموضوعي على النطاق
الفلسفي ٠٠٠ في الواقع ليست هناك مشكلة حقيقية أيها
السادة ٠٠٠ أنا اكتشفت أولا أن التقديمية هي أن اتقدم أنا
في المناصب وفي الثروة وفي السلطة وفي السلم الاجتماعي ،
واكتشفت ثانيا أن كل الناس أدوات للتقدم ، وبالتالي
يجب أن يكونوا أدوات لتقديمي ٠٠٠ وبهذا أصبحت المشكلة
كلها عندي مشكلة لغوية ٠٠٠ أنا اكتشفت أن اللغة أداة
لتفاهم ٠٠٠ أداة للاقناع ٠٠٠ اكتشفت أنه باللغة يمكن
اثبات أي شيء وكل شيء ٠٠٠ كل الناس تحاسبني على
كلامي ٠٠٠ لم أجد أحدا يحاسبني على أفكارى أو أعمالى
الفريق بينى وبين على الزبيق الجوكى هو أنه يريد اقناع
نفسه قبل اقناع الغير ٠٠٠ أما أنا فاكتمى باقناع الغير
٠٠ كل هذا بسبب الضمير وأنا تخلصت من مشكلة الضمير ٠٠
أنا وضعت في حجرة نومى لافتة بالخط الثلث بكلمات سيد
درويش الخالدة : « عشان ما نعلى ونعلى ونعلى لازم نطاطى
نطاطى نطاطى » ، حتى أفتح عليها عيني كل صباح وتكون
آخر ما أراه قبل النوم ٠٠٠ ولكن المؤسف فقط هو أنني لم
أصل إلى شيء كثير يناسب مع مواهبي ٠٠٠ ولكنى مع ذلك

وصلت لشيء ٠٠٠ ثم لا بد من تفصيل لغة لكل مخاطب .
مثلا : عندما تخاطب الكلب قل له : يا سيدي ٠٠ فيفرح الكلب
ويعتقد انه الانسان وانك انت الكلب ٠٠٠ مثلا ، ان كنت
في بلد تعبد العجل ، فحش ، وارم له ٠٠٠ وهذه لغة
عملية موضحة بالفعل والشرح المادى الملموس ٠٠٠ العجل
الآن هو الاشتراكية التقدمية . حشوا ايها السادة ٠٠٠
وارموا ايها السادة ، حتى يتخم العجل ويكبس الحشيش
على نفسه فينام ، وينام ، وينام من الرخم ، وعندئذ
تقدموا انتم بالسكاكين ٠٠٠ ايها الرجعيون طهروا صفوفكم
من الاغبياء اهتفوا معي : فلتسقط المرأة الذهبية : فلتحيا المرأة
المتحررة ٠٠٠ ايها الفرديون ! اهتفوا معي : فلتحيا
الاشتراكية : تحيا وحدة الانتهازين والمرحطين .

الذاتي الموضوعي : بالضبط ٠٠٠ بالضبط هذا من

اوليات الوضعية المنطقية .

أبو الفتوح الصباح : كلا ٠٠٠ كلا ٠٠٠ فليسقط داروين

٠٠٠ فليسقط لامارك .

مجاهد بن السماخ : نعم ٠٠٠ فليسقط المبشرون ٠٠٠

٠٠٠ فليجيا السلف ٠٠٠ فليجيا العصر الذهبي .

صانع الإقنعة : النظام ٠٠٠ النظام ٠٠٠ فلنعد الى

الموضوع ٠٠٠ استبر .

المعلم العاشر : نعود الى تعريف الرجعية ٠٠٠ أقول :

كانت النساء نساء في العصر الذهبي . وهنا تختلف الافكار عن

نساء العصر الذهبى المنسوخ بحسب ظروف كل منا ، واسيما
ظروفه المنزلية ٠٠٠ فبعضنا يتاوه على ضياع سلطان الرجل
حتى فى عقر داره ، ويندب الايام التى كان الرجل فيها يقطب
فيرتجف كل من حوله من اناث وبنين ، او يزعم فتشقق
جدران البيت وتتعلق انفاس الهواء فرقا ٠٠٠٠ وبعضنا يتاوه
على ضياع انوثة الاناث ويستغرق فى احلام رشيدية ،
اكثرها خرج من الف ليلة وليلة ، عن نساء يجدن التعطر
والتنظيب ويلبسن سراويل الخبز والدمقس ، ويسدلن على
وجوههن نقابا ارق من نسيج العنكبوت ، وقد جلسن على
ارائك بسندن على العود او يرقصن وهن يشخشن على
الصنوج وهناك نماذج قليلة باقية الى اليوم من هذه
الاجناس المنقرضة يراها السياح عادة فى كباريات القاهرة
بين منتصف الليل والواحدة صباحا ، ويراهم المصريون
كثيرا فى التلفزيون العربى وفى افلامنا القومية ، ولسكن
النفوس تعافها لانها تدندن للجبيح وتشخشن للجبيح ،
اما نساء الزمان الغابر فكن يدندن ويشخشن كل
لرجلها فقط وهذه مأساة عصرنا ٠٠٠ هذه الصورة
الجبيلة العاطرة لاناث الامس يقابلها بعضنا بصورة اناث
اليوم المسترجلات ، منهن من يلبسن الجنطلونات فعلا
ويلعبن الالعاب الرياضية ، وحين يطلبن المرح يدبسن
بأرجلهن فى جنون على الباركيه فى السوينج والتويست
والروك أند رول ويسمين هذه الدجبة رقصا ! كل هذا

يذل على انحطاط الانسانية وانول عصرها الذهبي ، لان الرجال لم يعودوا رجالا والنساء لم يعدن نساء وكل شيء آيل الى فساد .

ابو الفتوح الصباح : ما كل هذا الكلام الفارغ . . .

نحن لسم نأت هنا لنسمع هذا اللغو عن الدندنة والشخشة وعن النساء المستهترات . . . تكلم في الموضوعات الجادة . . . تكلم عن مخافة الله ، عن الصوم والصلاة ، عن عدل الولاة . . . عن تأخي المؤمنين . . . تكلم عن وداعة القلوب . . . عن سياسة الرعية . . . عن تقوى العباد . . . كل هذه امور تهتم المجتمع . اما هذه الاحلام الرشيدية عن النساء فهي من مظاهر انحطاط المجتمع بعد ان فقد الدين سلطانه على النفوس ايام المدنية العباسية تكلم عن السلف الصالح .

المعلم العاشر : انا ابدأ بالمرأة لان المرأة نصف المجتمع .

اعتقد ان كل مجتمع فيه نساء بنسبة ٥٠٪ على الاقل ، واحصاءات هيئة الامم المتحدة تؤكد ان عدد النساء في العالم أكثر من عدد الرجال . انا لا أستطيع ان أتجاهل ٥٠٪ من البشر . . . حتى السلف كان بينهم دائما ٥٠٪ من النساء . . . انا اعتقد ان اى كلام عن المجتمع لا يبدأ بالحديث عن النساء كلام فارغ ومضلل . خذ اى شريحة في المجتمع تجد ان نصفها من النساء . . . الطبقة الحاكمة نصفها من النساء .

الذاتي الموضوعي : هذا صحيح من الناحية المنطقية .
الكلام يكون أولا عن الجنس ثم عن النوع ثم عن الفصل ثم
عن الخاصة ثم عن العرض العام ، ومنهج المعلم العاشر متمسك
مع منهج ارسطو في الاورجانون .

ابو الفتوح الصباح : اذن دعونا من الدندنة والشخشة
وذكر هذه المنكرات ٠٠٠ الرؤيا الرشيدية لرجال العصر
الذهبي ونسائه ليست سائدة في عقول الكثيرين فاكثرت
التأوهين على ضياع العصر الذهبي لا يفتقدون ضياع
الانوثة في النساء بل يفتقدون ضياع الرجولة في النساء :
ايام ان كانت المرأة مبنى ومعنى ، شكلا ومضمونا ، جدا
في جد ، تقف صاغرة امام وليها ولكنها تقف كالرمح السهمي
امام الآخرين ٠٠٠ اذا وقفت ، كلا . انا آسف هذه
ايضا ليست صورة صحيحة لنساء العصر الذهبي ، لانها
صورة امازونية يونانية عن النساء المحاربات . وهذه لها
ما يقابلها حقا في الادب العربي القديم حيث نجد الزباء
والخنساء وجليلة بنت مرة وزرقاء اليمامة والاميرة ذات
الهمة وشجرة الدر يبرزن مثل جان دارك بروز الرجال
للرجال مستصرخات او مستنهضات او مبارزات وهن ينشدن
النشيد القومي الذي الفه عمرو بن كلثوم وضاعت منا
نوتته الموسيقية :

الا هبي بصحنك فأصبحينا
ولا تبقى خمور الاندريثنا

إذا بلغ الفطنام لنسا رضيع
تخر له الحباير ساجدينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا
ونحن البحر نملؤه سفينا

ولكن هذه الصورة برغم هذا صورة غير تقليدية
عن نساء العصر الذهبي . فنساء العصر الذهبي كن يقترن في
بيوتهن ولا يسفرن الا لذوى الارحام من المحارم او الغلمان
- دون سن البلوغ ، ومن باب أولى لا يتبرجن الا لازواجهن .
وعنا تختلف الآراء في تحديد معنى العورة ، وفيما يجوز
فيه السفور ومداه ، فمن قائل انه كان يقتصر على الوجه
والندين ومن قائل ان الخمار عادة تركية دخيلة على
نساء العرب . . . الخ . وايا كان الامر فهذه التفاصيل
الشائكة كلها لاتهم الا المجتهدين ، وانما المهم هو الصورة
العامية والصورة العامة هي ان نساء العصر الذهبي كسمن
نساء فضليات ، ومقياس الفضيلة انهن كن يعشن لازواجهن
وفي أزواجهن : يربتن لهم طعامهم ومناهم ويلدن لهم
بنينهم ويسهرن على تربية هؤلاء البنين . فاذا أخذت
احداهن من العلم شبيها فهو لا يخرج عن حدود وظيفتها
الاولى في الحياة وهي الاطعام والانامة وتربية الاولاد والبنات
حتى التاسعة والحادية عشرة بحسب الجنس . قاربوا هذا
بنساء اليوم المارقات الابقات الناشزات اللواتي يهجرن البيوت

ويتعلمن اللغات والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة
والفيزياء والكيمياء وحساب المثلثات واللوغاريتمات ويشتغلن
بالطب والقانون والصيدلة والبيطرة والهندسة والتعدين
والغزل والنسيج والمحاسبة والادارة والسكرتارية والصحافة
والنحت والتصوير والعزف والتمثيل والرقص الايقاعى وغير
الايقاعى امام الجمهور . حتى غزو الفضاء دخلت فيه
فالنتينا . وهى كلها معارف لا تفيد فى طعام زوج او انامة
حليل او تربية بنين . بل قارنوا هذا بنساء اليوم الفاجرات
اللواتى يتبرجن امام الخاص والعام بمستحضرات ماركس
فاكتور وهيلينا روبنشتاين وبتقاليع جاك فات وكريستيان
ديور ، ويبدين فتنهن فى السينما والمسرح وفى الشارع
والنادى ، ويخرجن شبه عرايا على البلاجات . قارنوا
وقارنوا تروا ان نساء العصر الذهبى كن مثال الفضيلة
أما نساء اليوم فهن مثال الرذيلة .

أبو الفتوح الصباح : احسنت يا استاذ احسنت .

المعلم العاشر : هل كنت امينا فى وصف نساء العصر

الذهبي ؟

أبو الفتوح الصباح : غاية فى الامانة هكذا كانت

نساء السلف الصالح . ولن تقوم لمجتمعنا قائمة الا اذا

رجعت نساؤنا الى الفضيلة الاولى .

على الزبيق الجوكى الشهير بالزنبرك : اذا كان هذا

رايك فلماذا ارسلت بنتك الصغرى بمفردها لتدرس الهندسة
في لندن بين غير ذوى الارحام وغير المحارم وكلهم عيونهم
زرر وتجاوزوا سن البأوغ ؟ الا تخشى عليها من الفتنة ؟ ثم
انى رأيت السيدة المصونة زوجتك مع بنتيك الناهمتين
خارجتين أول أمس من « إيرمالادوس » فى سينما قصر النيل .

أبو الفتوح الصباح : احرص يا ولد .

صانع الاقنعة : التهجم الشخصى ممنوع اعتذر له .

على الزيبق : متأسف .

صانع الاقنعة : هل الترضية تكفى ؟

أبو الفتوح الصباح : مؤقتا حتى نخرج من هنا .

وسأحطم وجهه .

الايدىولوجى الفهلوى : حذار . على الزيبق لا يحطم لانه

كالزنبيرك ، كالياى الاصلى ينكمش وينفرد بهرونة شديدة
وبقوة شديدة واذا لم تلتفت لنفسك فربما انفرد بك فوجدت

نفسك طائرا فى الهواء .

المعلم العاشر : هل انت واثق من انك وصفت نساء

العصر الذهبى بامانة ؟

أبو الفتوح الصباح : بالتأكيد .

المعلم العاشر : وكيف تأكدت ؟

أبو الفتوح الصباح : كيف تأكدت ؟

المعلم العاشر : نعم كيف تأكدت . هل رأيتهن بعينيك

أسو الفتوح الصباح : ما عذو السخافة • طبعاً لا
نحن نعرف هذا من كلام السلف من كتب القدماء •
المعلم العاشر : هل تقبل كتب السلف كمرآة للحياة
في ذلك العصر •

مجاهد بن الشماخ : وهل هناك مرآة غيرها ؟ اسألوني
عن أى شيء في أدب العرب ، من جدى الشماخ بن ضرار في
الجاهلية الى أن غربت شمس الاندلس آتيكم بالخبر اليقين
والعصر المملوكى التركى والتركى المملوكى أيضاً اذا أردتم
وكل شيء حدث منذ بونابرت اللعين حتى ثورة ٢٣ يوليو
١٩٥٢ • أما بعد هذا فذاكرتى لا تعنى شيئاً لان الحوادث
كانت اسرع من قدرتى على التعلم •

المعلم العاشر : اتفقنا اذن الادب مرآة الحياة • ولكن
الدلائل تدل ، بحسب ما يعرفه عشاق الادب العربى ، على
أن نساء العصر الذهبى ، ولاسيما الارستقراطيات وبنات
العائلات كن لا يختلفن كثيراً عن نساء اليوم • انظر مثلاً
الى المعرى • المعرى كتب نحو عشر قصائد في اللزوميات يندد
بتعليم البنات ، ومعنى هذا ان العرب في زمن المعرى كانت
عندهم مدارس بنات • ربما لم تكن اسمائها بنبافادن
الثانوية للبنات او مدرسة أم الحسين ، ولكنها كانت
مدارس بنات على كل حال • ولو ان المعرى كتب قصيدة

واحدة ضد تعليم المرأة لقلنا انه ربما اغتاز من قريبة
أو جنارة ارادت ان تتفلسف أو تتحلق فأرسلت بفتحها الي
المدرسة ، ولكن عودته الي هذا الموضوع مرارا وتكرارا
يدل على انه كان بناهض ظاهرة اجتماعية متفشية ، كما
كان قاسم امين أو لطفى السيد مثلا ، على العكس منه ،
يكتبان مرارا وتكرارا في ضرورة تعلم المرأة فنفهم من ذلك
عزوف المصريين وقتئذ عن تعليم بناتهم ، واذا لم تكن هناك
مدارس بنات فلا بد انه كان هناك مدرسون خصوصيون
يترددون على البيوت ٠٠٠ والارجح ان العرب عرفوا المدارس
والدروس الخصوصية على السواء ، المدارس لابناء وبنات
الناس العاديين والدروس الخصوصية لابناء وبنات الذوات
حتى الجوارى والعبيد نعرف من المعرى ان منهم من كان متعلما
فهو يحدثنا في « رسالة الغفران » عن الجارية توفيق
السوداء التي كانت تعمل فتاة مكتبة في مكتبة بغداد ايام
المأمون تناول الكتب للقراء والنساخ ومحال ان نتصور ان
الجارية توفيق كانت أمية ومع ذلك كانت تجيز بين ديوان
الخطيئة وديوان ابن الزبيرى ، فلا بد انها تعلمت سواء
في مدرسة أو على يد مدرس خصوصى ٠٠٠ صحيح ان بنات
العصر الذهبى لم يشتمغن بالعلوم الرياضية والطبيعية ولكنهن
اشتغلن بالتجارة والسياسة والحرب والادب وإدارة الفنادق
وكن يبدرن الصالونات الادبية تماما مثل مدام دي مانتنون

ومدام دى بارى ، وكن يقصدن المظاهرات ، فانا لا اجد
فرقا بين السيدة التى خرجت تستنفض همّة المعتصم بالله
بعد غزوة من غزوات الروم وتهتف : « وامعتصاه ! »
وبين لطيفة الزيات حين كانت تهتف عام ١٩٤٦ بين طلاب
الجامعة : « فليسقط الاستعمار ! » أو « الكفاح كفاح
الشعب ! » . انا لا اجد فرقا ابدا بين نساء العصر الذهبى
ونساء اليوم . ومن رأى ان تمنح وزارة الثقافة منح تفرغ
لنقاد مجلة « الرسالة » ومجلة « الثقافة » ليدرسوا من
كتب العرب أنواع الاعمال التى كانت تزاولها نساء العرب
وليدرسوا نسبة التعليم بين بنات العرب بدلا من الجلوس
في ناصية الشوارع وقذف المارة بالطوب .

صانع الاقنعة : انت استوفيت هذه النقطة فانقل
لغيرها حتى نسمع غيرك قبل ان نأخذ الاصوات على القضية
المطروحة وهى : هل هناك فرق بين نساء اليوم ونساء
العصر الذهبى .

الايدولوجى الفهلوى : سيدى الرئيس ، القضية
المطروحة اعم من ذلك . الاصوات ينبغى ان تؤخذ على
الوجه التالى : هل هناك عصر ذهبى وعصر فضى وعصر
برونزى وعصر حديدي كما كان يقول ادباء أوروبا ؟
المعلم العاشر : انا اقول ان العصر الذهبى خرافة
ابتكرها خيال هسيود فى « الثيوجونيا » فى القرن التاسع

ق.م. ثم ثبتتها الرجمية الآوربية لتثبت ان الامس كان
خيرا من اليوم ولتجعل عيون الناس في اقفيتهم فينظروا دائما
الى الوراء .

وسأعود الى هذه النقطة بعد ان أفرغ من الكلام عن
نساء العرب ، الشعر العربى وحده كاف لاثبات ان نساء
العصر الذهبى كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم . امرؤ
القيس مثلا قال فى شعر سيدة من سيدات المجتمع :
غدائره مستشزرات الى العلا

تضل العقاص فى مثنى ومرسل

وهذا يثبت انها كانت تتردد على الكوافير بانتظام
وتجرب مودة الكريجاج واليوسيتيش والشينيون والكتوجان
والا فكيف استشزرت (اى اشرايت) غدائر المحبوبة الى
العلا ، وكيف تاهت الامشاط بين الشعر المرسل والشعر
الجدول ؟ وامرؤ القيس كان دائما يتتبع مودة الشعر فهو
القاتل فى مودة ديل الحصان :

وفرع يزين المتن اسود فاحم

اثيت كقنور النخلة المتعكل

اى شعر يزين الظهر كثيفا الخ . . . وليس من الضرورى
ان يكون الكوافير سقراط او انطوان تثنقل النساء الى دكانه
فالارجح انه كان بلانة من طراز راق يتردد امونيسه على
قصور امراء العرب او كوافيره خصوصية فى بلاط الملوك .

أبو الفتوح الصباح : الجمالية ليست مقياسا للعصر
الذهبي لان الجاهلية الاولى عرفت بالتبرج ، وربما بقيت
بعض تقاليد من هذا التبرج في الجاهلية المتأخرة . . .
العصر الذهبي يبدأ بالمائة الاولى :
المعلم العاشر : ومتى ينتهي ؟

صانع الإقنعة: اسحب هذا السؤال لانه سيبيدا
الشغب ، انظر . هناك من يصيح : العرب فسدوا بعبد
الخلفاء الراشدين . الشاب الطريف أبو سنة ذهب لسولى
يهتف تحييا ذكرى أبى نواس ! لا ذهب الا ذهب العباسيين !
أبو فراس الخنوفى يصيح : مولاي لا تنس الاندلسيين اسحب
هذا السؤال . . .

المعلم العاشر : سحبتة . سأتكلم عن المائة الاولى
فقط فالكل متفق عليها لانها كانت عصر الفتوحات العظيمة
أنا أقول ان نساء العصر الذهبى في المائة الاولى كن يعرفن
مودة مارى انطوانيت في تصفيف الشعر ، بدليل قول عمر بن
أبى ربيعة :

ولها اثبت كالكروم منيل
حسن الغدائر خالك مضمفور
وانهن كن يعرفن الشنيون بدليل قوله :
سبته بوحف فى العقاص موجل
اثبت كقبسو النخلة المتكور

وانهن كن يعرفن المانكير بدليل قوله :

ومخضب رخص البنان كأنه

علم ومنتفخ النطاق وثير

فاستعمال الأكلادور أذن لم ينتشر في عصور الانحطاط

كما كانوا يعلموننا في المدارس مستشهدين بقول القائل :

فأمطرت لؤلؤا من ترجس وسقت

وردا وعضت على العناب بالبرد

أى عضت بأسنانها على أطرافها المدهونة ، وإنما كان

شائعا في المائة الأولى .

قال صانع الأفعنة : من أراد مزيدا من التوثيق فليرجع

الى صبح الاعشى والى الاغانى . لقد تجاوزنا الوقت المقرر

لاستعمال المانكير والباديكيير عند العرب .

رفعت الجلسة .

x المحاورة الثانية x

فى المرأة الذهبية وسلوكها الذهبى

صانع الاقنعة : المعلم العاشر اوضح فى الجلسة السابقة ان عنيزة صاحبة امرؤ القيس وعائشة بنت طلحة صاحبة عمر بن ابي ريبيعة كانتا تترددان على الكوفير وتستعملان المانيكير ، واثبت من كلام المعرى ان العرب كانت عندهم مدارس بنات • هل بينكم من ينكر هذا ؟

ابو الفتوح الصباح : حتى اذا كان هذا صحيحا فلا بد ان الحلاقات - استغفر الله - كن من النساء والمؤدبات كذلك ، وان تعليم البنات كان يقف عند فك الخط وجدول الضرب واصول الدين •

المعلم العاشر : ولكن تعليم البنين فى العصر الذهبى كان يقف ايضا عند فك الخط وجدول الضرب واصول الدين • نحن لم نسمع عن كلييات حقوق وهندسة وصيدلة وطب بيطرى ومعاهد تكنولوجيا فى العصر الذهبى ، لان الحرف

والصناعات كانت تتوارث في الاسرة وفي الورش يلقنها
المعلمون للصبيان ، تماما كما كان يحدث في أوروبا في
العصور الوسطى .

على الزبيق الجوكى الشهير بالزنبرك : ابو الفتوح
الصباح يقترح اذن أن يصدر مجلس الامة تشريعات :
قانون يحرم على الرجال الاشتغال بهنة كوافير السيدات
وقانون بالغاء الكليات النظرية والعملية والمعاهد العليا
والمدارس الثانوية والاعدادية حتى نرجع الى العصر الذهبى .
يجب الاكتفاء بالتعليم الابتدائى .

مجاهد بن الشماع : الوالى وليس مجلس الامة .
فالعصر الذهبى لم تكن فيه مجالس امة ولا هذه السخافات
المستوردة التى تسمونها برلمانات .

صانع الاقنعة : نقطة نظام . هذا خروج عن
الموضوع . موضوع نظام الحكم يبحث في جلسة قادمة .

ابو الفتوح الصباح : قانون الكوافيرات نعم . اما
الغاء الجامعات وكل مراحل التعليم فوق الابتدائى . فهذا
شطط واساءة فهم لمعنى الرجعية . العلم نور . وكل مزيد
من التعليم نور على نور فى قلب الانسان لا فى عقله . واذا
كان ذهب العصر الذهبى من عيار ١٤ فمن الانفع أن نجعله
عيار ٢٤ . وانما المهم أن يملأ العلم قلب الانسان بالايمان
والفضيلة والا تذهب البنات الى المدارس الا فى الزى الرسمى

لنساء العصر الذهبي • وقد نسي الميثاق ان ينص على هذا
ولا بد من استكمال هذا النقص • والزي الرسمي لنساء
هذا العصر الذهبي هو الفستان المقفل عند الرقبة والمتدلى
حتى الكعبين والاكمام الطويلة حتى الرسغين ، أما الوجه
فيمكن ان يسفر أثناء المحاضرات وفي أوقات العمل الرسمية
ولكن لا بد من طرحة على الرأس تخفى أولا عورة الشعر
ويمكن ثانيا اسدالها ورفعها بحسب الظروف • اسدالها في
الشارع مثلا ، وفي السينما أو المسرح وقت الانتراكت واطاءة
الانوار • ويمكن لتسهيل هذه العملية التحكم في الطرحة
بكردون وبكر يثبت في الخصر على طريقة الستائر • ثم
لاسد من قانون بتخصيص بلاجات خاصة بالنساء وبلاجات
خاصة بالرجال • رحم الله الشيخ ابو العيون •

المعلم العاشر : هذه صورة غير دقيقة عن نساء العصر
الذهبي فمن الشعر العربي نعرف ان نساء العصر الذهبي
كن يتبخترن عرايا على البلاجات واحيانا في غير البلاجات •
خذ مثلا « المتجردة » زوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة
كان النابغة الذبياني يتجول في ابهاء قصرها فرآها تتجرد ••
اعتقد انها كانت تتجرد « داخل » الحمام ، وان النابغة
كان ينظر اليها من ثقب الباب ، لان الوصف يوحى بأنها
كانت تحس بوجود متفرج ، وقال النابغة الذبياني فيها :
سقط النصيف ولم ترد اسقاطه

فتناولته واتقتنا باليد

والنصيف ليس بالضبط البيكىنى ، ولكنه أزار أو فوطه
أو ربما بشكير ، وعلى أية حال فسقوطه كشف عن كل شيء
ولهذا « اتقتنا باليد » • شعر القدماء يثبت أن نساء
العصر الذهبى كن كنساء اليوم يتبخترن عرايا على بلاجات
البصرة والحجاز • معلقة امرئ القيس تشير الى مزامرة
كانت للملك الضليل على بلاج جلجل ، وهو شاطئ بركة
بجوار البصرة فيما يقال ، فهو يقول :

الا رب يوم لك منهن صالح

ولا سيما يوم بدارة جلجل

وتفسيرا في كتب العرب ان امرأ القيس لعب نفس
اللعبة التي لعبها من قبله الاله كريشنا في ادب الهنود ،
ففاجأ البنات وهن يغتسلن في بلاج جلجل واخذ ثيابهن
وقعد عليها ، وابتى ان يعطى كلا ثوبها حتى تخرج اليه
عارية وتأخذه منه بنفسها ولو ظلت في الغدير الى الليل •
وغلبهن الحياء اولا فمكثن في الماء حتى ارتفع النهار ،
ولكنهن خفن أخيرا من الألتهاب الرئوى أو الانفلوانزا الحادة
على أقل تقدير فرضخن وخرجن الواحدة بعد الأخرى •
وكانت اشدهن حياء حبيبته عنيزة ، ولكنها في النهاية
رضخت مع الراضخات • واحسسن بالجوع فذبح لهن ناقته
فأكلوا وشربوا فياسكة من أفخر النبيذ وطربوا وغفوا ثم
حملته عنيزة معها داخل هودجها بعد ان فقد ناقته ، وبعد

الاقداح كانت القبلات • ولم يكن هناك على بلاج جلجل
بوليس آداب ليمنع كل عذا • فانظر كيف تقدمت آداب
المحدثين على آداب القدماء •

أبو الفتح الصباح : النعمان بن المنذر وامرؤ القيس
عاشا في الجاهلية • هذا لا يقاس عليه •

العلم العاشر : نفس هذا المشهد تكرر بعد سنوات
حين نزلت البنات بلاج الغيل في الحجاز فأخفى الشاعر ثيابهن
وإذا قلت ان النعمان بن المنذر وامرؤ القيس كانا في الجاهلية
فما قولك في حكايات عمر بن ابي ربيعة وغيره مع نساء
العصر الذهبي في المائة الاولى ، أو على الاقل قبل ان تسوء
سمعة المجتمع العربي بما قاله ابو نواس وما فعله هو وجيله
السيء السمعة • والغيل بركة أو بحيرة أو نبع قرب مكة •
أو لعله غسابة تجرى فيها جداول المياه كما ورد في «اللسان»
وليس من الضروري أن يكون اسم البلاج مضحكا مثل
جلجل أو غريبا مثل الانفوشي أو صعبا مثل جليمونوبونو
أو أعجيبا مثل الريفييرا لتسميه بلاجا • انظر مثلا الى بلاج
جمصة الذي كنا فيه • من رآه ظن انه في فلوريدا أو
كاليفورنيا ومع ذلك فاسمه جمصة ومحافظة الدقهلية لا تخلج
من ذلك ومن اقام فيه نسي ان مصر تجرى فيها تجربة
اشتراكية •

صانع الاذعة : أنت تستطرد ، عد الى الموضوع
الاصلى •

المعلم العاشر : الموضوع الاصلى ؟ عمر بن ابي ربيعة
كانت هوايته الخاصة التسكع في مواقع الغيد على البلاجات ،
وآداب المحدثين ليست احط من آداب القسداء ، انظر الى
السدالية :

ولقد قالت لجات لها

وتعرت ذات يوم تبترد :

اكسا ينعتنى تبصرننى !

عمركن الله ام لا يقتصد

فتضاحكن وقد قلن لها :

حسن في كل عين من تود

حسدا حنانسه من اجهها

وقديما كان في الناس الحسد

فعمر بي ابي ربيعة لم يكن فقط يتلمظ بمراى البنات

على البلاج من بعيد ، ولكنه كان على بعد مترين ، والا

فكيف استطاع ان يسمع كل هذا الحوار ؟ ثم ان التقبيل

نفسه في العصر الذهبي كان على احدث طريقة سينمائية

نستهجنها في غرام العصر الحديث ، وتقصها الرقابة من افلام

موم و بوب واعتقد انها قصتها مؤخرا من « الدولشى فينا »

ومن « هيروشيما يا حبي » ، وهي ان يمسك الفتى بالبنات

من شعرها ويقبلها ، ففي شعر عمر بن ابي ربيعة انها :

قالت : وعيش ابي وحرمة اخوتي

لا نيهن الحسى ان لم تخرج

فخرجت خوفاً يمينها فتبسمت
فعلبت ان يمينها لم تخرج
فلثمت فاما آخذاً بقرونها
شرب النزيف ببرد ماء الحشرج
والقرون بلا مؤاخذة هي الشعر والحشرج اسم
نبح . ولو ان عمر بن آبي ربيعة كان وحده في هذا
المضمار لقلنا انها حالة فردية لا يجوز لنا ان نستخلص
منها صورة رجال العصر الذهبي ونسائه . ولكن أمثاله
كانوا كثيرين . مثلاً عبد الله بن قيس الرقييات وهو
أيضاً من قريش كان يعشقهن ثلاثاً ثلاثاً ، وقد سمي
بالرقييات لانه احب ثلاث بنات كل منهن باسم رقيية ،
وجميل بن معمر ، وقد كان من الشباب الارستقراطي في
بنى عذرة ، قال صراحة انه يفضل غزو القلوب على غزو
الامصار :

يقولون جاهد يا جميل بغزوة
واى جهاد بعدهن اريد ؟
لكل حديث بينهن بشاشة
وكل قتييل بينهن شهيد
ونحن عادة لا نفكر طويلاً في الطريقة التي تسلق
بها روميو من حديقة آل كابيوليت الى مخدع حبيبته جولبيت
ليقضى معها الليل . ولا اظن انه تسلق على المواسير ،
والارجح انه استعمل سلماً مجدولاً من الحبال الحريرية .
تقولون : ولماذا الحريرية ؟ اقول لتتسجم مع الجو العاطر

في حديقة الورد ومع الليل الساجى والنسيم الهفيساف
وصدح العنادل في الليل والقبرة مع أول انفاس الفجر .
والفرزدق مر بتجربة مشابهة في البصرة فيما اعتقد كما
يستفاد من وصفه :

ها دلتانى من ثمانين قامة

كما انقض بازاقتم الريش كاسر

نقلت ارفعنا الامراس لا يشعروا بنا

وافلت في اعجاز ليلى ابادر

الارجح ان « هما » تعود على سيدة الفؤاد وجاريتها
ولا تعود على سيدتين تربعتا على فؤاد الفرزدق أو استقبلناه
في سرير واحد . اقول هذا على الاقل احتراماً للفرزدق
وصاحبته . وهو موقف يذكرنا بما كان يفعله اللورد بيرون
مع الكونتيسة جيتشيولى ويبدو ان الفرزدق كان متمرنا
على الصعود والهبوط بالامراس (أى الحبال) ، لان هبوطه
السريع كانقضاض الباز الكاسر يثبت انه كان يعرف
موضع قبضته من الحبل كالبهلوان ولكنى لا اشك في ان خيال
الفرزدق كان خصبا الى حد المغالاة ، بل واتهمه بالفشر
على الاقل في وصف التفاصيل . فهو يقول انه تدلى من
ثمانين قامة ، وثمانون قامة معناها ١٤٠ متراً ، اى ان شقة
المحبوبة التى قضى معها الليل كانت في الدور الثلاثين . ولا
اعتقد ان البصرة عرفت ناطحات السحاب في المائة الاولى
لان الاسمنت المسلح والاسانسيرات لم تتخشف الا في القرن
التاسع عشر . ثم انه لا شك يفشر حين يقول : فقلت ارفعنا

الرجال حتى لا يشعروا بنا وأنه افلتت في اعجاز الليل
يبادره قبل أن يدركهم نور الفجر فيفتضح أمرهم . فلو
أنه قال من هذا شيئا يمكن أن يسمع على ارتفاع ١٤٠
مترا لأيقظ العمارة كلها ، بل والحي كله على الفور وطارده
العسس وأهل الحبيبة قبل أن يتاح للمراتين المسكينتين
أن ترفعا الامراس .

وغير عمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر وعبد الله
ابن قيس الرقيات والفرزدق هناك الشاب الجميل وضاح
اليمن ، وهو من أبناء ملوك اليمن ، والعرجي ، وهو من
ارستقراطية قريش ، وعدد لا يحصى من شعراء العصر الذهبي
يثبتون بشعرهم ان نساء العرب في العصر الذهبي لم يكن
يختلفن كثيرا عن نساء اليوم على الاقل في الفضيلة
أو في نقص الفضيلة .

مجاهد بن السماخ : سيدى الرئيس ، هذا تخريب
لترائنا .

أبو الفتح الصباح : كل هذه حالا فردية
لا يقاس عليها والشعراء يتبعهم الغاؤون .
على الزبيق الجوكي الشهير بالزنبوك : ولكنكم
تدرسون هؤلاء الشعراء في المدارس والجامعات ، هل تقترح
سن قانون بالفناء تدريس الادب العربى من المنسدارس
والجامعات ؟

مجاهد بن السماخ : مستحيل ، نحن أفنينا حياتنا في

تحقيق هذا التراث ونشره . نحن نطالب وزارة الثقافة بأن تخصص كل ميزانيتها لنشر التراث العربى .

الايدىولوجى الفهلوى : وما اعتراضك اذن ؟ هل تطالب بنشره بشرط الا يقرأه الناس ؟

ابو الفتوح الصباح : هؤلاء الشعراء لا يعطون صورة صادقة عن حياة العرب فى العصر الذهبى . النساء الفاجرات يعشن فى كل عصر من العصور .

المعلم العاشر : لا تغضب . ان شعراء العصر الذهبى لم يكونوا يترددون على النساء الفاسدات او على البغايا بل كانوا يترددون على سيدات الاسر وبنات العائلات . والا فما معنى كل هذا الاختلاس والتسلق والدخول من الشيبايك تحت جناح الظلام ؟ وقد عرف عمر بن ابي ربيعة وحده منهن عددا وفيرا وعينهن بالاسم ، مثل عائشة بنت طلحة ونعم والرياب وعند عفراء والثريا والنوار واسماء وليلى ولبابة ورملة وكلثم وفاطمة بنت محمد الاشعث الكندي وغيرهن ، وعناوينهن كلها مذكورة ومحققة بالكامل فى « الاغانى » ج 1 طبعة دار الكتب وفى ديوان عمر بن ابي ربيعة تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ومنها يتبين انهن جميعا من اسر محترمة مع الاحترام التام لهذه الاسر ، فالمثل يقول « يخلق من ظهر العالم فاسد » . كذلك كان رجال العصر الذهبى يدلعون ، اتصد يدللون ، نساء العصر الذهبى كما نفعل نحن اليوم. بنسائنا فنقول سوسو وشوشو . كانوا

يقولون « سكن » لسكينة و « بثن » لبثينة و « عز » لعزة :
مثلا : « وحبك يا سكن الذى يحسم الصبرا » فى عمر بن
أبى ربيعة و « كما شغف المجنون يا بثن بالخمر » فى جميل
ابن معمر « ومن ذأ الذى ياعز لا يتغير » فى كثير عزه ، وكانوا
يضربون المواعيد كما تضربها اليوم فى الأورمان أو فى جنينة
الحيوانات أو فى كازينو الشجرة أو فى استيريو الهرم . مثلا
رسول عمر بن أبى ربيعة :
فاتأها فقال : ميعادك السر

ح إذا الليل اسدل الاسقارا
ونسائنا الآن يستعملن الشانيل والكارفن ماجريف
والاربيج والابيجان والشيفالييه دورسيه بمنتهى الحرص
والاقتصاد ويكتفين بنقطة أو نقطتين فى الشعر أو تحت الأذن
وأحيانا فى الملابس الداخلية . ولكن قارىء معلقة امرئ
القيس يعرف ان نساء الزمان الغابر كن يدلقن العطور دلقا
على الفراش .

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وعلى الثياب :
إذا قامتنا تزوع المسك منهما
نسيم الصبا جاءت برىا القرنفل
وكانت تحدث بينهم المطارقات الغرامية . انظروا الى
هذه المطاردة التى قام بها عمر بن أبى ربيعة وصاحبه بكر
على ظهور الأبل وتذكروا ما يفعله شباب هذه الأيام

على الاقدام بين أمريكين عماد الدين وأمريكين سليمان باشا
أو في سيارات نصر وهي تطارد سيارات تاونوس عند برج
القاهرة أو في سكة الهرم :

شكوت الى بكر وقد حال دونها
منيف متى ينصب له الطرف يحسر
فقلت : انى . قال : ائتمر ، أنت مؤيس
ولم يكبروا فوقا ، فما شئت فأمر
فقلت : انطلق نتبعهم ، ان نظرة
اليهم شفاء للفسؤاد المضم
فلما اضاء الفجر عنا بدا لنا
ذرا النخل والقصر الذى دون عزور
فقلت اقترب من سربهم نلق غفلة
من الركب واليس لبسه المتكر
فقلت لاتراب لها : ابرزن اننى
اظن أبا الخطاب منا بمحضر
له اختلجت عينى اظن عشية
واقبل ظبى سسانح كالمبشر
فقلن لها : لا بلى تمنيت منية
خلوت بها عند الهوى والتذكر
فقلت لهن : امشين ، أما نلاقه
كما قلت أو نشف النفوس فنحفر
وجئت انسياب الايم فى الغيل اتقى ال
عيون واخفى الوطاء للمتغفر

فلما التقينا رحبت وتبسمت

تبسم مسرور ، ومن يرض يسر

فيا طيب لهو ما هناك لهوته

بهستم منها ويا حسن منظر

فمن كان بطيئا في فهم الشعر فمعنى هذا الكلام
باختصار أن عمر بن أبي ربيعة وصاحبه بكرا : ابصرا ركب
المحبوبة وصاحباتها فتبعاه حتى ادركاه ، ورغب ان ينفرد
بها ورغبت ان تنفرد به ، فانسلخت من الركب وتحققت
الرنديفو .

وفي الرائية المشهورة : « امن آل نعم انت غاد فمبكر »
« وهو يشبه قولنا » : « أتذهب مبكرا الى بيت البنات نعمت
اونعمات او نعيمة » يروي لنا عمر بن ابي ربيعة كيف انه
فعل ما فعله دون جوان في جناح الحريم بسر اى السلطان في
استنبول . اى تنكر في رى فتاة لكى يندس بينهن ، كما
ورد في ملحمة اللورد بيرون ، ودخل في مازق ثم خرج منه .
ولا اعتقد ان شاعرا في اية لغة بلغ هذه الدقة في وصف
حديث العشاق المعاميد الذى اختلطت فيه الدماء بالشبى
وهما عادة من صفات نساء الارستقراطية :

فحييت اذ فاجأتها فتوليت

وكادت بمخفوض التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان : فضحتنى

وانت امرؤ ميسور امرك اعسر

أريتك اذ هنا عليك الم تخف
وقيت وحولى من عدوك حضر ؟
فو الله ما ادري : اتعجيل حاجة
سرت بك أم قد نام من كنت تحذر ؟
فقلت لها : بل قادنى الشوق والهوى
اليك وما نفس من الناس تشعر
فقلت وقد لانت وافرخ روعها
كلاك بحفظ ربك المتكبر
فانت ابا الخطاب غير مدافع
على امير ما مكنت مؤمر
فنت قرير العين اعطيت حاجتى
اقبل فاها فى الخلاء فاكتر
فيالك من ليل تقاصر طوله
وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
وهكذا قضى عمر بن ابي ربيعة ليلة ناعمة ، ولكن ما
أن اوشك الليل أن ينقض حتى وقعت الواقعة فدبت الحركة فى
الحى وتآهب القوم للرحيل : « فلا راعنى الا مناد : ترحلوا
وقد لاح معروف من الصبح اشقر » ، ولم تصب البنت
بالذعر بل قالت لصاحبها : الان وقد تنبه الناس ،
« أشر كيف تأمر ؟ » لنخرج من هذه الورطة • فعرض عليها
أن « يجاديهم » أى ينقض عليهم بسيفه ، ولكنها رفضت
قائلة : لا • هذا يثبت ما يشاع عنا ، فلنفكر فى حل
يستمرنا لا فى حل يفضحنا ، وهكذا كانت المرأة كالعادة اذكى

من الرجل • ولكنى يبدو ان الخطر اقترب منها فقد شحب
وجهها ، ومضت الى اختيها ، او لعلها مجرد صاحبتين
تستجد بهما :

فقامت اليها حرتان عليهما
كساءان من خز دُمقس واخضر
فقالت لاختيها : اعينا على فتى
أتى زائرا ، والامر للامر يقدر
فأقبلتا ، فارتاعتا ، ثم قالتا :
أقلى عليك اللوم فالخطب أيسر
فقالت لها الصغرى ، سأعطيه مطرفي
ودرعى وهذا البرد ان كان يحذر
يقوم فيمشى بيننا متكبرا
فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجنى دون من كنت اتقى
ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر

الا ترون معى ان التنكر فى زى النساء يدل على ان
عشاق العصر الذهبى كانوا اكثر جراءة واوسع حيلة من
عشاق اليوم • اكاد اقطع بان اى عاشق من عشاق اليوم
لو ووجه بهذا الموقف لضربت معه لخرة ولما عرف
كيف ينصرف •

الفارس المفروس : اسمحو لى يا سادة • كل هذا
طبيعى ، انتم تنسون ان فن التصوير وفن النحت اندثرا
بين العرب بانتهاء الجاهلية الوثنية • فطبيعى ان يقوم الشاعر

مقام الفنان التشكيلي فيرسم « بورترينيات » لسيدات العصر الذهبي بالقلم والكلمة بدلا من الرسم بالفرشمة والالوان . وهذا يفسر انتشار شعر الغزل في العصر الذهبي وفي « الاغانى » ج ٦ ص ٢١٩ أن أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان وزوج الوليد بن عبد الملك ارسلت الى كثير عزة والى وضاح اليمى تقول : « انسبى » . والنسبى او التشبيب نوع من الغزل . فلنقل انه وصف محاسن المرأة ، وان ام البنين لم تكن تطلب من الشعراء ان يتغزلوا فيها حقا ، وانما ارادت منهم ان يصنفوا محاسنها ، اى ان يرسموا لها بورترية او ينحتوا لها تمثالا بالكلام على غرار ما يفعل الفنانون . وقد خاف كثير من صولة ابيها فلم يصفها بل وصف جاريتها ، اما وضاح اليمى فقد شجب بها فنال عقابه . تربص به رجال الوليد وقتلوه ودفنوه حيا .

المعلم العاشر : ربما كان هذا صحيحا ، ولكنه لا يفسر المواعيد الغرامية فى السرح والغيل ولا المطاردات ولا التنكرات والتسلق بالحبال لولوج المخادع ولا المشاورت الطريفة بين البنات والبنات وبين الرجال والرجال فى افضل الطرق لدخول ذنبا الحب والخروج منها . ان دراستنا للادب العربى تقف دائما عند زخرف الالفاظ ولا تتوغل فى المعانى الا نادرا ولا تحاول ان تربط بينه وبين الحياة التى أنتجته وهذا هو سبب كراهية تلاميذنا لدراسة الادب العربى شعرا ونثرا رغم الجهود الجبارة التى نبذلها لنشره على ابنائنا

في المدارس • أنا مثلاً أعتقد أن الأدب العربي متخلف
جداعن الأدب اليوناني ، ولكنى أعتقد أنه لا يقل شموخاً
عن الأدب اللاتيني بما في ذلك فرجيل وهوراس وأوفيد •
ولكننا حنطناه لاعتقادنا أن التراث لا يكون تراثاً إذا عاش
معنا وعاشنا ••• أن التلميذ المصري مثلاً لا يعرف أن أبناء
المائة الأولى كانوا مثلنا إناساً يحبون ويعشقون ويتألمون
ويفرحون ويقتلون ويزنون ويدسون ويتآمرون ويغفرون
ويخلصون وأنهم كانوا مثلنا يحبون الجسد ويتجهمون
ويحبون الحظ ويفرغون ، وأنه لمع بينهم أقطاب الغنين
مثل ابن سريج والغريص ومعبد ، وكلهم من فناني الحجاز
تألقوا في المدينة المنورة تألق محمد عبد الوهاب وعبد الحليم
حافظ وفريد الأطرش في القاهرة الآن • قالوا وكان رابع
هؤلاء العباقرة حنين الحبري في العراق ، فكتب ثلاثتهم إليه
خطاباً يدعونه فيه لزيارة المدينة • قالوا : نحن ثلاثة
بالحجاز وانت وحدك بالعراق ، فأنت أولى بزيارتنا • والمهم
في هذا ما جاء في « الأغاني » من وصف الهستيريا التي
استولت على أهل المدينة عندما علموا باقتراب موكب
الموسيقيار حنين هذا ، وهي تشبه الهستيريا التي تستولي
على أهل لندن أو باريس أو نيويورك فيجتمعون بالآلاف
في المطارات حاملين الكورونات وكرانيهات الاتوجراف
والكاميرات كلما نزل الخنافس أو جوني ماليداي أو الفيس
بريسلي ، فيتشنج الرجال ويغمى على النساء • قالوا :
فشخص اليهم ، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره

فخرجوا يتلقونه ، فلم ير يوم أكثر حشرا ولا جمعا من يومئذ . هذه صورة من صور الحياة اليومية في العصر الذهبي تدل على أن رجاله ونساءه كانت لهم ثلوث مثل قلوبنا . فلم كل هذه الجهامة التي ترتسم على وجه أبو الفتوح الصباح وصاحبه مجاهد بن الشماخ . ليس صحيحا ما قاله أبو الفتوح الصباح من أن نساء العصر الذهبي كن مثال الفضيلة وإن نساء عصرنا مثال الرذيلة . هل اقتنعت يا سيدي ؟

مجاهد بن الشماخ : كلاً . كلامك غير مقنع ، بل هو أشبه بسمادير الخمورين . وأنا لا أفهم كيف يؤذن لدعى جاهل مغموز ملبوز شرلتان مثلك ان يتكلم في تاريخ العرب وادبهم وانت الذى دربك المبشرون والمستشرقون عملاء الاستعمار الصليبي لافساد حضارة العرب وعقيدة العرب .

صانع الإقنعة : محال ان اسمح بهذا السباب . انه خروج على الميثاق ، ان كانت لديك وجهة نظر فاشرحها ولكن حذار من التناول والا اخرجتك من الجلسة . ارى من حالتك النفسية انك اذا بدأت الكلام فسلن تتوقف ، والوقت ازف . فالى اللقاء فى الجلسة القادمة .
رفعت الجلسة ...

فى المرآة

قال صانع الاقنعة : انت يا مجاهد بن الشماخ طلبت الكلمة وستكون اول المتكلمين فى جلسة اليوم . ولكن تذكر ما وعدتك به فى الجلسة السابقة اذا لجات الى السباب .
مجاهد بن الشماخ : انا لم الجأ الى السباب وانما كنت امارس حقى فى الهجاء والهجاء فن معترف به من فنون الشعر العربى ، وله تقاليد راسخة فى بلاغة العرب ، بل اكاد اقول انه يمثل ربع تراثنا من الشعر العربى . فاذا كان ربعه للنسيب وربعه للفخر وربعه للمدح فربعه الرابع للهجاء ، اما شعر الرثاء فمجرد متفرقات هنا وهناك لا يعتد بها ، واما وصف الطبيعة والحكم والتأملات وغيرها فقد جرت تقاليد العرب أن تكون « من الباطن » أى بحشى بها بطن القصيد حشو الفريك داخل الحمام وهى لا تطلب لذاتها . فهى ليست فنونا ادبية معتمدة عند العرب . ولم يشذ عن هذه القاعدة الا العتاهى والمعرى

وشعراء الصوفية . فالعرب اذن قد جعلت من السباب فنا جميلا وسمته الهجاء كما جعلت من الملق فنا جميلا وسمته المدح . فاذا كنت قد قلت للمعلم العاشر انه دعي وجاهل وشرلثان وان كلامه صديد في صديد او من سمادير المخمورين او انه صبي المبشرين وعميل المستعمرين ، فهذه كلها صور فنية غاية في الذكاء ، ومعان مبتكرة لم يستغنى اليها احد من القدماء، وانتم تعرفون ان ابن قدامة وابن سلام والجرجاني وابن قتيبة والآمدى وابا هلال العسكري وابن طباطبا كانوا لا يفتخرون لشاعر او ناثر انه كرر معاني غيره او الفاظه ويسمون هذا سرقة ادبية . وقد حافظنا نحن سدنة التراث العربي على تقاليد الهجاء حتى لا ينقرض هذا الفن الجميل . فمصطفى صادق الرافعي مثلا كان يسمى عباس العقاد « العقاد اللص » و « الشاعر المراحیضى » وكان يضعه على السفود وهو خازوق او سيخ لشي الكباب وناظر مدرسة ابن العميد الجالس هناك كان يقول ان خولة المايسطرية تمسك بقلم الشيخ الغليظ ويقصد بالغليظ القلم لا الشيخ ، وهو زوجها ، وقد نشر هذا على نفقة الدولة في مجلات وزارة الثقافة ، لانه ظريف وجميل ولانه يحافظ على تراث البلاغة العربية وفي وزارة الثقافة ادارة لحياء التراث العربي ، فهو يطبع على ميزانية احياء التراث وقد اوشك هذا الفن ان ينقرض منذ ان ظهر المعلم التاسع قاتله الله او على الاصح منذ ان عاد هو ومدرسته من اوروبة ، فأخذ يهجو خصومه في الراى بعبارات

مثل قوله : « فليسمح لى سيدي ان اختلف معه فى بعض ما ذهب اليه ، وانا زعيم بأن اختلف الراى لا يفسد للود قضية » او مثل قوله : « ومهما يكن من شىء فانى اوشك ان اختلف مع سيدي فى بعض ما ذهب اليه » وغير ذلك من التراكيب الاعجمية المستوردة من الخارج ، وهى تراكيب دسها علينا المبشرون الصليبيون والمستشرقون للقضاء على البلاغة العربية وابادة الهجاء العربى ٠٠٠ وهل هناك أجمل من قول الخطيئة :

فغص الطرف انك من نمير

فلا كعبا بلغت ولا كلابا

انظر الى التورية فى كلمتى « كعب » و « كلاب » فهما اخس ما فى الانسان واخس ما فى الحيوان وهما فى الوقت نفسه اسما قبيلتين من قبائل العرب ، وهل هناك اقوى من قول المتنبى فى سلطان من سلاطين مصر ٠٠

لا تشتر العبد الا والعصا معه

ان العبيد لأنجاس مناكيسد

انه قول صالح لكل زمان ومكان ، ولو ان لومومبا قاله لتشومبى لما آل الى هذه الكارثة الحزينة . اقول لولا مجلات وزارة الثقافة لاندثر هذا الفن الجميل ، والحمد لله الذى كشف الغمة وبعث مجد الأباء والاجداد ، وجدد العصر الذهبى للهجاء ، فانا الان نستطيع كلما خوى وفاضى ان اقتحم على اى كبير من كبار القوم مكنبه قائلا :

فجد لى يا ابن ناقصة جمال
فانى قد عزمت على السير
فيخاف بأسى ويوقع لى على ما شئت من صكوك ، هذه
التي تسمونها شيكات : أو اذونات صرف ، فان أبى أن يوقع
اردفت هذا بقولى :

قوم اذا استنبح الاضياف كلهم

قالوا لأهمهم بولى على النار

فيكون لقولى وقع السحر فى نفسه لأنه يدرك انى
قد بدأت الهجاء بالام والاب . . . نعم ان فن الهجاء فن
أرفع من فن المدح لان المال او المجد ان جاء عن طريق
الملق كان استجداء، اما ان جاء عن طريق الارهاب فهو
بأس وسؤدد . وانا لا اطالب الا بحقى فى ان اجرب بلاغة
العرب فى هذا المعلم العاشر الصعلوك ، هسو وقبيلته وتومه
بعد ان اجرده من كافة القابة العلمية التي حصل عليها
بوسائل مريبة من جامعات المبشرين .

صانع الاقنعة : انا نيهتك اكثر من مرة ان هذا

مناف للميثاق ، ادخل فى الموضوع أو دع غيرك يتكلم .

مجاهد بن الشماخ : لا بأس . لقد صور هذا الرجل

صانع الاقنعة : اسمه المعلم العاشر .

مجاهد بن الشماخ : انا لا اعترف بهذا اللقب .

صانع الاقنعة : هل تعترض على لقبك ايضا ؟

• **مجاهد بن الشماخ** : كلا ، فهو يناسبني تماما .
وهو ليس قناعا بل حقيقة ، فجدى الاعلى هو الشماخ
ابن ضرار قطب شعراء الجاهلية ، وانا مجاهد بالفعل .
صانع الاقنعة : هو الذى صنع لك القناع فلماذا
انت غاضب عليه ؟

• **مجاهد بن الشماخ** : هذه قصة اخرى سأرويها فيما
بعد . اما الان فاننا اقول ان المعلم العاشر زعم كما زعم المعلم
التاسع من قبله ان شعر الغرام القانى فشا فى الحجاز فى
اوائل حكم بنى امية . والحقيقة ان شعر الغرام القسانى
والغرام الباهت وكل انواع الغرام فشا فى كل عصر من
عصور الدولة العربية لان العرب بسليقتهم عشاق معاميد ،
وانا لا اوافق ابا الفتوح الصباح فى تصويره ان العصر الذهبى
كان خاليا من الغرام ، فابو الفتوح الصباح احول او اعور
يرى ادب الدين ولا يرى ادب الدنيا .

• **ابو الفتوح الصباح** : اتشتمنى ؟ انا صديتك .

• **مجاهد بن الشماخ** : انا لا اشتمك ولكنى اصحح آراءك
عن العصر الذهبى ، الدولة العربية كلها عصر ذهبى ، وكل
ما فيها ذهب . حتى الجاهلية الاولى ذهبية وهذا هو
الفرق بيننا نحن المتقنين العرب وبينكم معشر الروحانيين
العرب نحن نقول ان دولة العرب دين ودنيا ، وانتم

تقولون انها دين فقط ، ولهذا سنصل نحن الى الحسكم
أما انتم فستمهدون لنا الطريق . انتم تكتوون بالنار ونحن
نأكل الكستناء كما يقول الخواجات . وهذا هو سبب فشل
جذك الاعلى حسن الصباح مقدم الفداوية وشيخ طريقة
الحشاشين رغم انه برز في الحروب الصليبية وهو أَيْضاً
سبب فشل ابن عمك آية الله كاشاني في ايران في السنوات
الاخيرة . لا تترك الدعوة الباطنية ولكن ادخل الاتحاد
الاشتراكي ، وبهذا تكون لك كوادر سرية وكوادر علنية
في حي الباطنية .

صانع الاقنعة : ما هذا الكلام ! انتما تتآمرا لقلب
نظام الحُكم ؟

أبو الفتوح الصباح : لا . أبدا . انا لا تربطني
بهذا الرجل الا رابطة فكرية .

صانع الاقنعة : نحن كنا نتكلم في الادب والحياة ...
فما دخل السياسة ؟

مجاهد ابن الشماع : السياسة تدخل في كل شيء .
فمثلا تعددت الآراء في اسباب تفشى شعر الغرام في الحجاز
في اوائل حكم بني أمية ، فصاحب « حديث الاربعة »
يقول أن شعر عمر بن ابي ربيعة وفرقة الشعراء العشاق
كان يمثل صورة حقيقية لمجتمع ارسقراطي مترغ متسأنق
انتشرت فيه الصالونات الادبية . وهناك رأى بأن بني أمية

أرادوا ان يستأثروا بالحكم فى الشام فشجعوا هذا القترف فى الحجاز لعزله سياسيا وشغل شبابه عن الحياة العامة بسفاسف الفن والادب وبمتع الحياة ، وهذا ليس بمستبعد وعندنا أمثلة فى التاريخ . . . فالصليبيون الامريكان علموا الا يروكوا والشيروكى والسيو والسجنولو واليوت وغيرهم من قبائل الهنود الحمر شرب الجن لينصرفوا عن القتال ويتركوهم يهرجون فى البلاد . وكذلك فعل الصليبيون الاوروبيون بزنج افريقيا : فتحوا بلادهم بالخمر والخرز . ولكن الارجح فى نظرى هو ان شعر الغزل هذا لم يكن الا لونا من ألوان القذف السياسى قصد به الشعراء تلويت سمعة خصومهم بالتعريض بنسائهم المحصنات وتصويرهن فى صورة الزانيات الفاجرات ، السم اقل لكم ان القذف فن جميل وله تقاليد راسخة فى الادب العربى ؟

ابو الفتوح الصباح : انا اعتقد ان كل ماروى عمر ابن ابى ربيعة والعرجى وجميل بثنية والرقياك ووضاح اليمن والاحوص والاخلط وغيرهم فى شعرهم من مغامرات نسائية مع كرائم العقائل ليس الا اقاصيص من نسج الخيال والكذب فى سبيل الفن رخصة اعطيت للشعراء من اقدم العصور ، والى الآن فيما اعتقد . فشعر هذه الفترة لا يصلح ان يتخذ مرآة لذلك العصر . وصورة الشاعر يفتحم أو يتسلل الى مخادع البنات صورة شعرية قديمة ورثها

شعراء صدر الاسلام عن شعراء الجاهلية • نجدها مثلاً
في امرئ القيس ونجدها في المنخل اليشكري :
ولقد دخلت نلى النذاة الخدر في اليوم المطير
الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحرير

المعلم العاشر : ربما • ربما • ولكن هذا لا يفسر كيف
ان دواوين عمر بن ابي ربيعة وعديد من معاصريه ليست الا
سلاسل محكمة الحلقات من قصائد لا تخرج عن هذا المعنى :
معنى التواعد واللقاء أو التسلل الى المخادع • والارجح ان
شعراء العصر الذهبي كانوا يفشرون في وصف هذه الدون
جوانيات أو على الاقل يغالون بعض الشيء ، وهذا ضعف
انسانى تجده في كل العصور • ولكن مجرد تفشى هذا
الاتجاه الادبى اكثر مما الفسه الناس في الجاهلية ومجرد
سماح مجتمع العصر الذهبي بتفتيشه يدلان على نوع من
السماحة والقبول لهذه « الموضة » الادبية • ثم أننا
لم نسمع ان احدا اتام الحد على عمر بن ابي ربيعة
رغم اعتراغه بالزنا أكثر من مائة مرة في قصائده ، والاعتراف
سيد الادلة ، بل هو يذكر أسماء وعناوين من زنى معهن
من النساء دون حرج ، وأكثرهن من سيدات المجتمع المعروفات
ومع ذلك لا يتعرض له احد • وواضح من سير شعراء العصر
الذهبي ان ما لقيه وضاح اليمن أو الاحوص أو الرقيات
أو الاخطل من العنت أو التهديد لم يكن بسبب دخولهم مخادع

السيدات ، ولا بسبب اجترائهم على نساء وراءهن سيوف
طويلة من نساء كبار رجال الدولة ، على طريقة : « اذا
سرتت اسرق جمل واذا عشقت اعشق قمر » . فبعض من
وصفهن هؤلاء الشعراء كن ملكات جمال مثل عائشة بنت
طلحة تحدثت بجمالهن كتب العرب ، ولكي اقرب لكم الصورة
تصوروا مثلا ان عبد الرحمن الخميسي او عبد القادر القط
او صلاح عبد الصبور او احمد حجازي كتب قصيدة في
هذه الايام تباهى فيها بليلة حمراء قضاهها مع زوجة
الناويشى زوجة الدكتور محمود الدنديشى رئيس مجلس ادارة
المؤسسة المصرية العامة للكرافيات والبايونات والخرق
الحريية ، وفي فيللا الدكتور نفسه خلف اندريا شارع الهرم .
فماذا يكون الحال ؟ طبعاً قضيتان : قضية قذف للتشهير
تطبق فيها المادة كذا من قانون العقوبات (والحبس فيها
واجب) ، وقضية زنا مع محصنة ، اى امرأة متزوجة
(والحبس فيها واجب ايضا) ، وغالباً قضية ثالثة هى قضية
طلاق بين محمود الدنديشى وزوجة الناويشى ار على الاقل
علقة سخنة تبقى في ذاكرة زوجة الناويشى لفترة طويلة .
نسيق القانون اليوم احد من « سيوف ابيك » التى نكرها
الشاعر في قوله : « فتكات لحفك ام سيوف ابيك » . وواضح
اننا اليوم نقيم الحد بطريقتنا الخاصة على الزناة والقاذفين
اكثر مما كانوا يفعلون في العصر الذهبى واننا لا نعلو،

العقوبة على الاعتراف أو التلبس كما كانوا يفعلون بسـ
نكتفى بما تجمعه النيابة من أدلة . وحتى لو افترضنا
أن الخميسي أو القط أو عبد الصبور أو حجازى مجرد
فشار لا يفعل شيئاً ولكنه يشنح بينات الناس ، وأن
الفسر ، فسر الشعراء ، شئ معروف للخاص والعام ،
فهذا قد يعفى من تهمة الزنا ولكنه لن يعفى من تهمة
الغذف . فإذا تصورتم أن اقتحام مخادع السيدات فى حراسة
الخدمة والطباخ والشوفير وصبي الكوجى لم يعد موضوع
قصيدة واحدة ينظمها الخميسى أو القط أو عبد الصبور
أو حجازى بل أصبح الموضوع المفضل عند شعرائنا واشترك
فيه عزيز أباطة وعلى الجندى وعبد بدوى وعامر بحيرى
ومحمود عماد وبقية أعضاء لجنة المدرسة العمودية حتى
أصبح سمة الادب العربى فى مصر عام ١٩٦٥ ، وإذا تصورتم
أن الامر تجاوز زوبة المناويشى الى كوكا وسونة ونوسة
وريزى وزيزى وميمى وفيفى الدراويشى والملاميشى والفرافيشى
والقراقيشى والحلمنتيشى ، وكلهن زوجات رجال من طبقة مديرى
العدوم من ذوى السيوف الطويلة ، ومع ذلك لا تخرج هذه
السيوف من غمدها الا فى القليل النادر ، فماذا انتم قائلون ؟
وماذا سيقول المؤرخ الذى سيؤرخ لعصرنا عام ٢٥٠٠
ميلادية عن طبيعة الحياة فى هذا العصر ؟

نحن نعرف ان الكوكايين كان منتشرا فى مصر فى اوائل

العشرينات من نشيد حسن فائق ، المنسوب الى عبد الله شداد ، « شم الكوكابين خالني مسكين » ، ومثله الحشيش من نشيد سيد درويش عن « التحفجية » ، فشر يا دؤدؤ » كذلك نعرف ان الزواج من اجنبيات كان يمثل خطرا قوميا في العشرينات من روايات يوسف وهبى وفي الثلاثينات من ترار لجنة البعثات بحظر الزواج من اجنبيات على دالبتنا فى الخارج . ومؤرخ الادب سنة ٢٥٠٠ سيقرب ادب عصرنا فيجد فيه اوصافا غريبة وتحليلات عجيبة لا نظير لها فى الادب العربى فى اى عصر من العصور لشخصيات مصرية تظهر لأول مرة على خشبة المسرح ، مثل طوافى عمان عاشور وفرفور يوسف ادريس وخضرة سعد الدين وهبه وعبد افندى للطفى الخولى ، ويستنتج منها انه كانت فى مصر ثورة فقراء ومحاولة ضخمة لاعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية منذ ١٩٥٢ ، سيصل مؤرخ الادب الى هذه النتيجة حتى ولو لم يقع فى يده اى كتاب من كتب التاريخ لان ادبنا مرآة لعصرنا . وقد يكون مرآة منبعجة او مقعرة كمرآيا اللونابارك بسبب عقلية ادبائنا وتكوينهم النفسى ، ولكنه مرآة من نوع ما على كل حال . وسيجد مؤرخ الادب بعض التفككة حين ينظر فيما سيبقى من ادبنا فيجده خاليا من وصف النساء خاليا من وصف الحب ، او يكاد يكون خاليا . انا طبعا افترض ان « انت عمرى » لن تعيش الى

سنة ٢٥٠٠ وإن نساء رشاد رشدى سيعشن فقط حتى يحال الى المعاش ، فرشاد رشدى هو الوحيد الباقي بين كتساب مسرحنا الذى لا يزال يكتب عن النساء واحوالها وعن الحب وأوضاعه . سيبتسم مؤرخ الادب ويسائل نفسه : ترى ماذا جرى لهؤلاء القوم منذ ١٩٥٢ أو على الاصح منذ اندثار مدرسة ابولو في الحرب العالمية الثانية ؟ نعم . لن نجد مؤرخ الادب عام ٢٥٠٠ فى شعرنا ومسرحنا اى دليل على ان مصر كانت فيها نساء فى عهد الثورة الا روايات احسان عبد القدوس ، ومن هنا اعمية احسان عبد القدوس التاريخية وضرورة المحافظة عليه لانه آيتنا الوحيدة أمام الاجيال القادمة على وجود الجنس الآخر فى عهد الثورة . أما نجيب محفوظ فستكون رواياته مفاتيح لاشياء أخرى اشد خطرا وعمقا : ستكون مفاتيح لتشنجات اجتماعية وانسانية رهيبة على مستوى الجماعة كلها تفصح عن نفسها من خلال تشنجات رهيبة تجتاح قلوب رجال مهرورين قلقين ونساء مهرورات قلقات .

كل هذا يؤكد أن شعر عمر ابن أبى ربيعة وجميل والرقيات ووضاح اليمى والعرجى والاخلط والفرزدق . . الخ يجب ان يكون مرآة للحياة العربية فى المائة الاولى أو ما نسبه العصر الذهبى . وقد تواتر فى شعر كل هؤلاء الشعراء ١ - ان نساء العصر الذهبى كن يتتبعن مواضع الشمس

السائدة في ذلك العصر ٢٠ - انهن كن يتتبعن احدث الازياء ويعرفن افخر انواع الخز والحريير من الداماسية (الدمقس) والشانتونج واللاميه والناما والموار والفساى الى الجيبير والدانتلا ٣٠ - انهن كن يعرفن المانيكير والبديكير والمساحيق من احمرى واخضرى وازرقى وكريم وبودرة وريميل وكحل لتزجيج الحواجب حتى تصبح العيون كعيون المها ، نعرف هذا من قول ابن الرومى في وصف الطبيعة في رونق الربيع : « تبرحت بعد حياء وخفر تدرج الانثى تصدت للذكر » ٤٠ - انهن كن يترددن على البلاجات غالبا بسلا مايوهات سواء من قطعة او قطعتين ٥٠ - انهن كن يتواصلن مع العشاق على الاقل العشاق الشعراء ، ويتواعدن معهم في الخمائل والادغال وعند عيون المساء ، ويستقبلنهم في الفراش بين المغرب والفجر سواء في مضارب الخيام او في الطوابق العليا كما حدث للفيزدق . وكل هذه الرذائل ، ان كانت رذائل ، لازمت بنات حواء من العصر الذهبى الى العصر النذرى ، والارجح انها لازمتهم ايضا منذ عصر الكهف . الى العصر الذهبى . هل قضيت على خرافة العصر الذهبى . . على الاقل بالنسبة للنساء ؟

مجاهد بن السماخ : اذا كان هذا حقا فهو حق

يراد به باطل .

صانع الاقتعة : ماذا تعنى ؟

مجاهد الشماخ : اعنى ان المعلم العاشر يشن حملة شعواء على حضارة العرب لانه سييء النية • وهو يقصد ان يزرى بها لحساب الاوروبيين الملاعين الذين دربوه لهذا العمل حتى نفقد الثقة فى انفسنا ونوطىء لهمم فى بلادنا •

المعلم العاشر : ما هذا ؟ هل نحن فى محكمة تفتيش ؟ هذا الرجل يحاكم الناس بالنوايا • لم يبق الا ان يأتى بخنجر ويشق به قلبى بحجة انه يريد ان يفتش فيه • ومع ذلك فكلامى يدل على عكس ما يقول • كلامى يثبت ان العرب علموا اوربا مودة البوستيش والشنيون ومارى انطوانيت وعلومها استعمال ادوات الزينة وعلومها الاستحمام فى البلاجات ••• باختصار ، علموها كل ما تصدره الينا الآن من اسباب الحضارة فهذه بضاعتنا ردت الينا ، وهو نفس ما ينادى به مجاهد بن الشماخ وأبو الفتوح الصباح وبقال العروبة • علموها عن طريق بيزنطة والاندلس وما بينهما • علموها وتعلموا منها •

مجاهد بن الشماخ : انظروا ! الم اقل لكم ان المعلم العاشر دسييسة ؟

كيف يقول ان العرب تعلموا من غيرهم ؟ العرب يعلمون ولا يتعلمون ، لانهم ولدوا علماء • هذه آراء المبشرين والمستشرقين والمستعمرين • وقد سبق ان صبى المبشرين

ادعى ان المعرى قرأ اليونان وهو افك عظيم ، فاليونان هم
الذين قرأوا المعرى رغم انهم اقدم منه . لقد أثبت بما
فيه الكفاية في الجزء الاول من كتابي « أوهام وأراجيف »
ان المعرى لم يعرف هوميروس أو أرسطوفانيس أو لوسيان .
وسأثبت في الجزء الثاني منه أن هوميروس وأرسطوفانيس
ولوسيان هم الذين عرفوا المعرى .

المعلم العاشر: انت مضحك يا شماخ ، انت وأمثالك ،
ان قلنا ان المعرى كان مثقفا يعرف اليونانيات غضبتنم ،
كأننا ننسب اليه عارا وشنارا . ومع ذلك فأنتم لا تفتأون
تذكرون ان العربية هي التي اعطت اليونان لاوروبا في
عصر النهضة . فهل كان العرب مجرد وراقين مثل مكتبه
الانجلو ومكتبة النهضة وعيسى البابي الحلبي يبيعون
المخطوطات اليونانية للاوروبيين دون ان يعرفوا ما بداخلها؟
طبعا لا . . . فقد كانوا أولا وقبل كل شيء مثقفين في
اليونانيات عارفين باليونانية . ومادنا نتحدث عن أمور
أحب في العصر الذهبي ، فأننا اقرر هنا أمام جميع
الحاضرين ان أمرا القيس كان يعرف اليونانية . . . فنحن
نقرأ في « الاغانى » ان أمرا القيس طلب الى السموال ان يكتب
الى الحارث الغساني أن يقدمه الى قيصر ، فلما انتهى
امرؤ القيس الى قيصر اقام في بلاطه مكرما وعينه قائدا.

على جيش من جيوشه وكانت له عنده منزلة حتى افسد
ما بينهما عدو له يدعى الطماح . قال الطماح لقيصر :
« ان امرا القيس ذكر انه كان يرسل ابنتك ويواصلها ،
وهو قائل في ذلك اشعارا يشهرها بها في العرب » فيفضحها
ويفضحك » وحتى لو افترضنا ان امرا القيس كان يباهى بذلك
من باب الفخر ، فهل يعقل ان يقيم عاما كاملا في بلاط امبراطور
بيزنطة دون ان يتعلم اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان
حمارا كبيرا . وحتى لو افترضنا انه كان يستخدم
ترجمانا اثناء اقامته في بلاط ملك الروم يترجم بينه وبين
قيصر ، فهل يعقل ان قيصر كان ياتمنه على قيادة جيش
من جيوشه اذا كان لا يتقن اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك
لكان قيصر حمارا اكبر لانه عين في جيشه جنرالا لا يستطيع
قراءة اوامره وفرماناته ومراسيمه ، بل ولا يستطيع ان يتفاهم
مع الصف الثاني والثالث من العمداء والعقدا والنقباء
او يجلس معهم في مجلس حرب دون مترجمين . وحتى لو
افترضنا ان قيصر كان حمارا كبيرا وان امرا القيس كان
حمارا صغيرا فكيف كان امرؤ القيس يطرح ابنة قيصر
الغرام وهما معا في بيزنطة ؟ في الفراش طبعاً لغة الاشارة
تكفى ، ولكن هل يعقل انهما لم يخرجتا قط من الفراش ؟
انهما لم يلتقيا ابدا الا في الفراش ؟ وبأية لغة كان
يراسلها وتراسله ؟ بالعربية التي لا تعرفها او باليونانية

التى لا يعرفها ؟ بنس هذا الغرام الذى يحتاج دائما الى
وسيط . ثم اننا نعرف انه مات ودفن فى قلب بلاد
الروم . وهذا يدل على انه تردد على بيزنطة اكثر من
مرة ، مات بالحلة المسمومة التى خلعها عليه قيصر حين
غضب عليه . . . مات ميتة اسطورية تشبه ميتة كريوزا
حين خلعت عليها ضرثها ميديا الثوب المسموم فى حكاية
ياسون المشهورة . ان اى حمار فى ظروف امرى القيس كان
لابد ان يتعلم اليونانية قراءة وكتابة . بل الارجح انه
تعلمها اصلا وهو صغير لانه من ابناء الملوك وتربية
الامراء لم تخل من تعلم اللغات الاجنبية ومن استعمال
السلح الآ فى اندر الاحوال . انا اقول لكم انكم تقبلون
تاريخ العرب وادب العرب لانكم لا تفهمون ما تقراون بل
ترددون كل ما جاء فى الورق الاصفر كالبيغوات ، وكأنه
تعاويد مختومة لا يجوز لاحد فض اختامها خسية ان
يضيع سحرها . ان اشد الناس خطرا على تراث القدماء
هم سدنة تراث القدماء ، لانهم الهوا السلف فحفظوا
حضارة السلف وفضلوا الماضى على الحاضر وقطعوا جذورنا
وجعلونا كأطفال يتامى يبكون حول تابوت بديع وهم
لا يعلمون ان اباهم لا يرقد فيه رقدة الموت ، ولكن ينام
فى غفوة من سبات عميق .

صانع الاقتعة : انهض ، انهض يا اوزيريس انسا

ولذلك حوريس • جئت اعيد اليك الحياة • لم يزل لك
قلبك الحقيقي • قلبك الباقي • كفى • كفى • لقد اثرت فينا
الاشجان وآنسيتنا الابتسام • ارجو يا سادة ان تتذكروا
في المرة القادمة ان من يضحك كثيرا يحتفظ بشبابه طويلا •
فاضحكوا واطحكوا وان لم تجدوا ما تضحكون منه
فاضحكوا من انفسكم ! والى ان نلتقى مرة اخرى • رفعت
الجلسة •

x المحاورة الرابعة x

فردوس القطط والكلاب

بعد أن افتتح الرئيس ، صانع الاقنعة ، الجلسة لادارة المحاورة الرابعة ، تنحج قليلا وقال انه قد جاءه طلب باقتفال المناقشة في هذا الموضوع التافه الاستهك ، موضوع المرأة ، واقترح باجراء التصويت فورا من بازعة بن شخبوط وهو من أقصى اليمين ، والملوك الشارد وهو من أقصى انيسار (واليمينواليسار هنا اوصاف جغرافية لا سياسية) .
وهنا حدثت مخرج شديد لان خولة المايسطرية والماركسية المسخخة ساءهما ان يقال ان موضوع المرأة موضوع تافه .
وصاح الشاب الظريف ابو سنة ذهب لولى يطالب بفتح باب المرأة الى الابد وايده في ذلك خليع القبيلة بجلبة شديدة لفتت نظر الحاضرين ، وكانت حجتهم في ذلك انها اختصاصيان في المرأة عمليا وانها يجبان ان يستكملا معارفهما النظرية عنها . وكان تاجر البهارات يراقب كل هذا

ويبتسم. في خبث وأعطى الشاب الظريف شيئاً من لسان
الذكر وأعطى خليع القبيلة جـوزة من جوز الطيب فزاد
تهيجها وأخذاً يهتفان « تحيا المرأة الذهبية ! » « اليينا
بالرأة الذهبية ! » وهنا تدخل السندباد الجديد ملطفاً
هذا الهرج بقوله :

- المعلم العاشر والمجاهد والشماع وأبو الفتوح الصباح
اكتفياً بدراسة احوال المرأة من خلال صورتها في الادب
والحقيقة إن الادب لا يعطينا الا بروفيل المرأة . وأنا اقترح
ان يرسم لنا أحد صورتها في علم الاجتماع . أنا لا اقول
ان العلم فضلوه عن الادب ، ولكن المنهج العلمي ادعى لدقة
المعرفة ووضوح التفكير .

... **الايولوجى القهلوى** : أنا مستعد لرسم صورة المرأة
في علم الاجتماع . أنا درست ...

المعلم العاشر : أنا اعترض . ليس بيننا واحد مؤهل
في هذا العلم .

صانع الاقنعة : هل ندعو استاذاً من الجامعة ؟

المعلم العاشر : لا . أنا اعرف كل اساتذة الاجتماع
الدكتور أزوز . لا يعرف شيئاً خارج دوركهايم ، والديك
الجبار لا يعزف شيئاً خارج ابن خلدون والدرفييل الوديع
سيثير ثثرة لطيفة عن استاذة ايفانز بريتشبارد . اقترح
ان ندعو بعض الخبراء الاجانب : جيمس فريزر ومالينسوا

فسكى وايغانز بريتشارد وراذ كليف براون وهانز ليخت
ايضا اذا امكن ولوينسون .

صانع الاقتعة : ما كل هذا . واحد يكفى .

المعلم العاشر : مالىنوفسكى اذن . هاهو ذا بالباب

او على الاصح شبحه ما ان فكرنا فيه حتى حضر بسرعة
ضوء الفكر .

صانع الاقتعة : ادخل يا مالىنوفسكى .

مجاهد بن السماخ : انا اعترض على دعوة هذا

الاتفاق الدولى عدو العرب . انه اوروبى نجس .

صانع الاقتعة : اسكت يا سماخ . مهنتك .

مالىنوفسكى : عالم اثنولوجيا .

ابو الفتوح الصباح : وما هذه الاثنولوجيا من فضلك؟

مالىنوفسكى : علم دراسة خصائص الشعوب .

ابو الفتوح الصباح : سبحان الله . انا لم اسمع

ابدا بهذا العلم .

مالىنوفسكى : كانوا فى القرن التاسع عشر منذ

داروين يدرسون شيئاً اسمه الاثروبولوجيا اى علم الانسان

او الجغرافيا الجنسية كما تسمونها فى بلادكم ، وكانوا

يدرسون الاجناس البشرية دراسة غريبة بقياس جماجم

الناس وانوفهم اطوال عظامهم وانواع شعرهم وتصنيف

فصائل دمهم ، كل ذلك لتحديد الفوارق والجوامع بسين

الاجناس المختلفة لمعرفة ما اذا كانت الاجناس من اصل واحد . ثم خطرت للبعض فكرة طريفة وهي ان يدرسوا عادات الشعوب وخصائصهم الاجتماعية بدلا من التركيز على خصائصها السلالية . وسموا هذا انثروبولوجيا اجتماعية والحق انى لا اعرف بالضبط الفرق بين هذه الانثروبولوجيا الاجتماعية وما نسميه اليوم الانثولوجيا . كلها اسماء مضحكة . المهم ان علماء الانثروبولوجيا الطبيعية بالغسوا في احكامهم على سلالات الشعوب لمجرد استعمالهم المساطر والبواجل واخذوا يصدرن الاحكام على البشر . وكان طريفا ان نرى دعاة النازية في البلاد الاخرى يؤمنون بهذه النظرية رغم انها تثبت تخلفهم الفطرى . مثلا في مصر ، في الاربعينات صفق بعض الناس للنازية رغم انها تضع المصريين في المرتبة العاشرة والعرب في المرتبة العشرين من درجات التخلف الفطرى الذى لا يجدى معه تعليم . ولما رأينا استفحال خطر هذه المدرسة رأينا من واجبنا ، نحن دعاة الانثروبولوجيا الاجتماعية ، او الانثولوجيا ، ان نهاجبها بقسوة ، لا سيما واننا من انصار الديمقراطية ومن دعاة المساواة بين البشر فاثبتنا ان كل حديث عن السلالة خرافة في خرافة لانه ليست هناك سلالات صافية وكل شعوب الارض بزميط بسبب الحروب والهجرات المتولصلة ، واعلنا ان علم الإنسان لا يكون علما الا اذا كف عن قياس اللحم والدم والعظم ووقف عند

دراسة عادات البشر ونظمهم الاجتماعية : مثلا نظام الأسرة
نظام التوريث • نظام الحكم • نظام السحر • طقوس
العبادات • نظام البغاء • طقوس الافراح والمواالد وكل
ما يدخل في باب « الثقافة » و « الحضارة » و « المعتقدات »
والعادات الاجتماعية • برونسلاف مالينوفسكى • فى خدمتكم •
أنا مثلا مسحت ميلانديزابولونييزيا ، وايقانز بريتشارد
مسح السودان وفسترمارك مسح شمال افريقيا واستاذنا
تيلور مسح الهنود الحمر وصديقتى السيدة سيليجمان
مسحت شعوب افريقيا •

مجاهد بن الشماخ : الم اقل لكم ؟ ان عندنا من
هو افضل من هذا المشر الافاق • رحم الله ابن بطوطة
والقزوينى وابن خلدون •

مالينوفسكى : ابن بطوطة والقزوينى وابن خلدون ؟
رجال عظام • سمعنا عنهم وقرانهم من الجلد للجلدة فى
سنة اولى جامعة •

صانع الاتعة : ادخل فى الموضوع يسا مالينوفسكى •
السؤال هو: ما قول العلم فى نساء العصر الذهبى ؟ هل
كان نظام الاسرة مثلا فى العصر الذهبى ارقى منه فى عصرنا ؟
وأحوال المرأة وأوضاعها هل كانت فى المجتمع الذهبى ارقى
منها فى مجتمعا ؟ نحن راينا صورة المرأة فى مرآة الادب
فوجدنا ان الحال من بعضه ، وبقي ان نرى صورتها فى

مرآة العلم • لن نتضايق اذا التقيت علينا محاضرة بشرط
ان تكون طريفة فنحن في الاصل ادباء كما تعلم •
مالينوفسكى : « انا بوصفى واحدا من صفوفه
الصفوة في الاثنولوجيا اقرر انى كلما التقيت بمسز سيليجمان
او الدكتور لووى وكلما ناقشت راد كليف براون او كروبر ،
احس لفورى ان زميلى لا يفهم شيئا في الموضوع ثم احس
عادة في النهاية ان هذا ينطبق على ايضا • وهذا ينصب
على كل ما كتبناه في موضوع القراية ، وهذا الاحساس
متبادل تماما » •

صانع الاقنعة : اهدا من تواضع العلماء ام هى نكتة ؟
مالينوفسكى : مطلقا • هذه حقيقة • وعلى كل حال
مادتم تطلبون راىى فساكتفى بعرض الحقائق واستخلصوا
انتم ما تشاءون •

اين ابدا ؟ فى العصر الذهبى • طبعا انتم لاتقصدون
حواء فى الجنة قبل سقوط الانسان ، فهذه المرحلة معروفة
للجميع • سابدا انن من نقطة غير معروفة وهى بداية تاريخ
حواء على الارض او بناتها بتعبير ادق • فاول اثر وجده
علماء الآثار للمرأة على الارض كانت بعض التماثيل الصغيرة
بحجم الكف التى يرجع تاريخها الى نحو ٢٠٠٠ سنة ،
اى فى العصر الحجرى القديم ، تماثيل لنساء وحيوانات •
طبعا المرأة كانت موجودة على الارض قبل هذا التاريخ

بسنوات لا تحصى ، ولكنى اتكلم عن اى اثر مادى يدل على وجود نساء على الارض غير تسلسل الذرية . اكتشفت هذه التماثيل فى اواخر القرن التاسع عشر فى كهوف براسمبوى بجوار مدينة بايون فى جنوب فرنسا فى منطقة جبال اليرانس ثم اكتشفت مجموعة اخرى من التماثيل المشابهة فى كهوف جريمالدى بجوار مدينة منتون بين الريفيرا الفرنسية والريفيرا الايطالية . وكانت هذه التماثيل تتميز كلها بطابع واحد وهو ضخامة الثديين وبروز البطن بدرجة ملفتة وبجسامة العجز لدرجة لا تطاق : ومن تواتر هذه الظاهرة ظن علماء الانثروبولوجيا اولا ان نساء العصر الحجري كن جميعا مريضات بهرض تضخم العجز . ولكن هناك احتمالا بان يكون هذا مجرد اسلوب الانسان الاول الفنان فى التصوير اى مجرد التركيز على اعضاء المرأة التى تتصل بوظيفة الاخصاب والمبالغة فى ابرازها كما يفعل فنان اليوم فى الكاريكاتير . فالفنان القديم لم يهتم بان يبسّن فى تماثله ملامح الوجه والقدمين ، ولم يعرف ان كانت هذه لربة الحب او الاخصاب ام انها كانت تمثل نساء حقيقيات على كل حال فان العلماء اطلقوا على هذه التماثيل اسم « فينوس جريمالدى » نشبها بقولهم « فينوس ميلو » .

صبي النقاش : هذا يثبت ان فن التحت فن قديم جدا

مالينوفسكى : لا شك . لا شك ، ٢٠٠٠ سنة

على الاقل ، أى ما قبل التاريخ ، وفى ١٩٠٨ اكتشف عامل كان يشتغل بمد السكة الحديد فى قرية ويلندورف فى النمسا على شط الدانوب رسما أحمر طوله ١١ سنتيمترا على حجر ، وهو من نفس الفترة اى يرجع الى ٢٠٠٠٠ سنة ، وقد حفر فى الحجر بآلة حادة أو ازميل ، ويقال انه اقدم نموذج معروف من فن التصوير وهو من حيث التكوين مشابه تماما لنساء فرنسا وايطاليا منذ ٢٠٠٠ سنة على الاقل فى خيال الفنان : نفس الأثداء الجسيمة والبطن الجسيمة والعجز الجسيم ، صورة مقززة طبعاً بالنسبة لاذواقنا ، ولكن الغريب ان هذه الكتلة من الشحم كانت تلبس سوارا على كل ذراع من ذراعيها وشيئا يشبه الحلية على الرأس يظن انه كبود ، تصوروا ! حتى فى العصر الحجري القديم تفكر المرأة فى زينتها قبل ان تستر جسدها ! وغير معروف أيضا ان كانت « فينوس ويلندورف » أو حواء النمسا تمثل صورة كاريكاتورية ام امرأة حقيقية . كذلك عشر علماء الآثار فى استوريتز على صورة محفورة فى الحجر من نفس الفترة تمثل منظرا غراميا: رجل عاز ينظر فى ضراعة الى امرأة عنائية وقد رفع يديه وكأنه يتوسل ، وعلى فخذ المرأة رسم الفنان سهمها رمزا لرغبة الرجل ، والوضع كله محترم ويوحى بأن الفنان الاون لم يكن متبذلاً كبعض فناني اليوم ، ويثبت ان انسان

العصر الحجري القديم كان لا يخلو من الرومانتيكية . وقد تصور فريزر وريناخ كعادتهما في كل هذه التماثيل والنقوش انها لربات الحب والاحصاب ، او بقايا لديانة تقوم على عبادة المرأة اختلط فيها السحر بالدين . اما الحقيقة فلا يعلمها الا الله . ولا يقل اهمية عن ذلك تلك الصورة التي وجدها علماء الآثار بكهف في فالنسيا باسبانيا عمرها ١٦٠٠٠ سنة ، اى من العصر الحجري الوسيط ، والصورة تصور امرأة تعمل ، فهي واقفة على سلم صنع من حبال مجدولة ، تجمع الشهد من خلايا النحل لتضعه في سلتها ولكن جسم هذه المرأة نحيل جدا وهو من الطراز الافريقي .

على الزيتيق الجوكى الشهير بالزنبرك : هذه معلومات ممتازة اذن فلدينا دليل يقينى على ان المرأة كانت تعمل كالرجل تماما ، على الاقل منذ ١٦٠٠٠ سنة . وهذا وحده كاف لخراس كل المعترضين على خروج المرأة لميدان العمل . انا دافعت عن حق العمل للمرأة في احد مؤلفاتي على الاساس البيولوجى لا على الاساس الانثروبولوجى . حولت رجلا الى امراة وامراة الى رجل لاثبت حق المرأة في العمل فظن الاغبياء انى ادعو لحق الرجل في الحمل وانا اقطع بانها كانت دسيسة رجعية .

ايسو الفتوح الصباح : مهلا ، مهلا ، لو فكرت جيدا في الصورة لوجدت ان المرأة لم تكن تعمل طبيعية او محامية

أو مهندسة أو موظفة ولكن كانت تعمل في جمع الشهد ،
أى تعمل في التدبير المنزلى وهذه بالضبط هى الوظيفة
الطبيعية للمرأة كما قلنا ، وإن تجمع المرأة الشهد ؟ طمعا
لزوجها وأطفالها • وعذا بالضبط ماندهوإليه : أن تجمع
المرأة الشهد لزوجها وأطفالها • وإن تعمل وتعمل وتعمل ولكن
في التدبير المنزلى فقط • برافو يا خواجه مالينوفسكى ،
لاشك أن العصر الحجرى الوسيط كان عصرًا ذهبيا وانتم
تسمونه بالخطأ عصرًا حجريًا •

على الزبيق الجوكى الشهير بالزنبرك : مهلا • يا
أبا الفتوح يا صباح • أنا موافق على أن تعمل المرأة في
التدبير المنزلى فقط ، ولكن على مستوى الدولة كلها • وإذا
كانت المرأة منذ ١٦٠٠٠ سنة تجمع الشهد بيديها في
سلكها لاسرتها بوسائل الإنتاج البدائية هذه فقد تقدمت
وسائل الإنتاج بعد ١٦٠٠٠ سنة وأصبح في إمكانها اليوم
أن تدير مصنعا لإنتاج العسل الطبيعى والصناعى وكافة
أنواع المرببات وتعليبها بالوسائل الآلية في البرطمانات أو
الصفائح للأسرة الكبيرة وهى أسرة المجتمع كله بدلا من
حجزها في بيت سيادتكم لتصنع لك وحدك مربة الخوخ
والشمش ولكى تتمكن المرأة من ذلك يجب أن تدخل كلية
الزراعة • وقياسا على هذا يمكنها تربية العجول والأغنام
وانتاج السمن والزبد والجبن للامنة كلها بدلا من تربية

ديك ودجاجتين فقط على سطح سيادتك • أيها التقدميون !
امتقوا معي : فلتحييا الاثنولوجيا !، فلتحييا الانثروبولوجيا
الاجتماعية !

ماليونوفسكى : أناسعيد بهذه المقاطعات أيها السادة
وارجوكم ان تقاطعوني كلما استطعتم ، فهذا أولا يريخنى
من الكلام المتواصل فى شيخوختى ، وهو ثانيا يتيح لى البقاء
فى بلادكم الجميلة هذه اطول مدة ممكنة ، وعمو ثالثا
يعطينى فرصة ذهبية لدراسة مجتمعمك البديع اثنولوجيا
فأنا ارى امامى نماذج بشرية ممتازة وغرائب فى التفكير
والسلوك تستحق الدراسة والتسجيل • مثلا كل ههنا
الانفعال الجميل بسبب ان المرأة تعمل أو لا تعمل ، نحن
نسينا هذا الانفعال فى اوربا منذ مائتى سنة بالضبط ، اى
منذ الانقلاب الصناعى • واذا كان يهكم ان تعرفوا تاريخ
العمل بالنسبة للمرأة ، فالمرأة العاملة بالمعنى التام بدأت
منذ انتهاء عصر الصيد وابتداء عصر الزراعة ، اى منذ
نحو ٧٠٠٠ سنة ، أما عصر الرعى فلا داعى للكلام عن
العمل فيه سواء بالنسبة للرجل أو بالنسبة للمرأة لان الرعاة
قد يحسنون المشى أو ركوب الخيل والابل أو الغزو والسطو
ولكنهم لا يعملون بتساتنا وكانت أول الاعمال التى قامت بها
المرأة رسميا منذ ٧٠٠٠ سنة هى البذر والحصاد وصناعة
المنسوجات • وأعتقد ان المرأة لا تزال اليوم تزاول فى ريفكم
كل هذه الاعمال •

على الزبيق الجوكى الشهير بالزنبرك : وبناء عليه
يجب ان نطالب للمرأة بادارة اراضى الاصلاح الزراعى وبادارة
مصانع النسيج فى المحلة الكبرى وكفر الدوار وشبرا الخيمة .
بهذا نمارس المرأة نفس الاختصاصات التى كانت تمارسها
منذ ٧٠٠٠ سنة .

مالينوفسكى : هذا شأنكم وانا لا ادخل فيه والا
تلتتم عنى انى عميل ، نحن نشكو اليوم من ان نساءنا
يحكوننا . انا مثلا كنت اسلم كل مرتبى لمسز مالينوفسكى
ولا استطيع ان اتأخر فى النادى او البار بعد الساعة العاشرة
وهو موعد اغلاق البارات فى انجلترا ، وعندما اريد ان
اسمخ باخ وموزار تفرض هى على سماع تشايكوفسكى
وشوبان لانها رومانتيكية فأحس بحاجة الى القىء . . .
حتى الوان بدلى وكرافتاتى بختارها لى . ولكن صدقونى ،
ان الحالة كانت اسوأ بكثير فى مجتمع العصر الذهبى ، اليس
هذا ما تقصدون ؟ اى عصر قديم هو العصر الذهبى ؟
كانت الحالة اسوأ بكثير فى مجتمع ما قبل التاريخ او على
الاصح قبل اكتشاف الزراعة . فقد كان النساء يحكمون
الرجال حكما رسميا لا مجرد حكم مجازى ، واقمن فى قبائل
كثيرة نظاما سياسيا واجتماعيا يسمى « الجيناوقراطية »
اي « حكومة النساء » وهو مثل قولنا « ارستقراطية »
لحكم الاشراف « ديموقراطية » لحكم الشعب . وقد اكتشف

علماء القرن التاسع عشر أن سبب قيام هذا النوع من الحكم هو نظام الزواج على المشاع في مجتمعات انسان ما قبل التاريخ وفي مجتمعات الفطرة وقد بقيت بعض آثار هذا النظام في بعض مجتمعات الانسان التاريخي . وفكرة الزواج على المشاع طبعا فكرة تصدم الشعور ، ولكن اذكروا انه لاشعور في العلم ، ثم ان بعض الفلاسفة المثاليين المحترفين من امثال افلاطون دعوا لها . وافلاطون في « الجمهورية » اوصى بتطبيق الزواج على المشاع بين طبقتين في المجتمع : الطبقة الحاكمة وطبقة الجنود ليكون النسل ابناء الدولة بالمعنى الحرفي لا بالمعنى الجازي ، واوصى بنظام الاسرة فقط للطبقة الثالثة وهي الطبقة الوسطى او الطبقة البورجوازية من ارباب المهن والحرف . على كل حال نظام الزواج على المشاع ترتب عليه طبعا ان الاب كان غير معروف وان ولاية الام على الابناء كانت تامة ، وهذا اكسب المرأة مكانا ممتازا في المجتمع وبهذا انفردت بالسلطة السياسية والسلطة المدنية اذا اردتم ان تسموا هذا المجتمع « مجتمع القطيع » فلا بأس من هذه التسمية ، كذلك كان للنساء سطوة عظيمة في اقتصاديات المجتمع عن طريق التدبير المنزلي وغير المنزلي .

على الزبيق الجوكى الشهير بالزنبرك : أنا اقلظ .

ابو الفتوح الصباح يصبر على سمنية هذا المجتمع بالمجتمع

الذهبي • هو يمجّد الفطرة اعطه مزيدا من الفطرة يا
خواجة مالينوفسكى •

ابو الفتح الصباح : اعوذ بالله ، اعوذ بالله •
مالينوفسكى : كانت حكومة النساء تستند الى مبدأ
شرعى اسمه « الحق الاموى » باللاتينية « يوس ماترنوم »
وكان اول من لفت النظر الى وجود هذا النظام الاموى مبشر
جزويتى اسمه لانيتو ، كان فى اوائل القرن التاسع عشر
يدرس قبائل الهنود الحمر فى امريكا الشمالية ووجد هذا
النظام ممارسا بين الهنود الحمر •

مجاهد بن السماخ : الم أقل لكم ؟ المبشرون دائما
وراء هذه الافكار الحقيرة الفسدة •

مالينوفسكى : لا تغضب يا سيدى • انت على حق الى
حد ما ... هكذا بدا الامر فى اول الامر ، لانه لم يتجول
فى المجتمعات البدائية غير المغامرين والمبشرين • منابع النيل
مثلا اكتشفها المبشرون وبعض المغامرين المجانين ، وربما
بعض الجواسيس المثقفين ، فهل معنى هذا ان منابع النيل
غير موجودة ؟ لماذا لا تتشبهون بنا ؟ انتم ترسلون بعثات
تبشيرية لنشر الاسلام فى افريقيا الاستوائية وترسلون بعض
المحققين والمدرسين ورجال العلاقات العامة ولو ان كل واحد
من هؤلاء درس عادات القبائل الزنجية التى يتصل بها
ولهجاتها ونظمها وديانها وكتب عنها تقارير لوزارتى

الخارجية المصرية والتعليم بدلا من كتابة التقارير والشكاوى في زملائه ، لاستفاد علم الانثروبولوجيا الاجتماعية فائدة عظيمة . وعلى كل حال فالأوروبيون كانوا منذ ١٥٠ سنة مثلكم تماما ، فحين أعلن الأب لافيتو نظريته عن المجتمع الاموى (نسبة الى الام لا الى أمية) صدمت آراؤه أبناء عصره ولم يقتنع بها الا الاقلون . حتى نشر باخوفن الالماني كتابه المعروف « الحق الاموى » في ١٨٦١ فأحدث كتابه زلزلة كبيرة في أوروبا كلها واعتبرت آراؤه اكتشافات اجتماعية خطيرة . كانت نقطة الابتداء عند باخوفن مارواه هيروودوت من أن أهل ليسيا كانوا يسمون أبناءهم باسم أسرة الأم ، نأخذ يجمع الشواهد من التاريخ ومن المجتمعات البدائية ومن آداب القدماء ، وتوصل الى وجود مجتمعات عديدة تحكمها المرأة ونظام الارث فيها يتبع الخط الاموى . وحتى في بلادكم الجميلة اشتبه بعض العلماء في ان أسماء القبائل المؤنثة مثل ثعلبه ومرة وقضاة وامية ليست الا بقايا مجتمعات اموية قديمة جدا في شبه جزيرة العرب كانت فيها حكومات نساء وبقيت الاسماء بعد انتقال هذه القبائل الى مرحلة المجتمعات الابوية . ولم يكن باخوفن هذا رجلا تقديما يطالب بتحرير المرأة واسراكها في مسئوليات الحكم بالحق وبالباطل بل كان على العكس من ذلك رجلا محافظا ينظر بامتنعاض الى سيادة المرأة ويعتقد انها مرحلة تخلف

وانحطاط وبدائية . فالطبيعة حقيقة جعلت المرأة هي الحاكم الطبيعي في الاسرة والمجتمع . . . وسيادة الرجل المتأخرة تقوم على الاعتصاب في التنظيم الاجتماعي ، ولكنه اغتصاب كان في مصلحة الانسانية وتقدمها . فعند باخوفن ان المرأة مساوية للفطرة والجسد بينما الرجل مساو للمدنية والعقل وسيطرة العقل والمدنية طبعاً ارقى من سيطرة الجسد والفطرة . هذا على كل حال رأى باخوفن وحكمه وليس رأياً وحكماً فائداً ليست لي آراء واحكام . انا فقط اسجل واجمع وادرس ولكنى لا اصدر احكاماً . وطبعاً هلـل الذكور منذ مائه سنة لنظريات باخوفن لانها نادى بامتياز الرجل على المرأة ، ولكن الذكور في أوروبا كانوا اغبياء، لانهم لم يفهموا ان كلام باخوفن رغم ارضائه لغرورهم كان اول معول حقيقى قوض سلطان الرجل في العالم لانه زرع ايمان الناس بسيادة الرجل سيادة ازلية ابدية وعرف الناس ان الرجل لم يكن دائماً حاكماً في الاسرة وفي المجتمع . والحاكم الطارىء، يمكن ان ينزع منه الصولجان ، فهو قابل للعزل او التنازل .

ولم يلبث الاثنولوجى الامريكى مورجان ان دعم نظريات باخوفن فمتبع تحول مجتمع قبيلة من الهنود الحر هم الايروكوا من نظام الحق الاموى الى نظام الحق الابوى في زمنه وكتب عنها ودرس شيوعية الزواج في مجتمعات

القطيع وظهور بدايات التنظيم الاجتماعي في مجتمع الصيد حيث قسمت كل قبيلة الى مجموعات ، كل مجموعة رجالها حرم عليهم ان يتزوجوا من نساءها ولكن أبيع لهم ان يتزوجوا من نساء المجموعات الاخرى ، مع بقاء الزواج جماعيا لا فرديا ، وهو ما ابقى المجتمع تحكمه المرأة في كل ما يتصل بعلاقات الاسرة وبالتوريث نظراً لعدم تحديد الآباء . ولكن ما ان تطورت وسائل الانتاج بحيث امكن للفرد ان يستغنى عن الجماعة حتى ظهر التخصص في الزواج ، اى ظهرت الاسرة بالمعنى الحديث كنتيجة مباشرة لظهور الملكية الفردية . وانتقلت السيادة للرجل باعتبار انه الاقوى والانشط فامتلك الرجل المرأة وفرض عليها التخصص له بينما احتفظ لنفسه بحق التعدد الى مدى ملكيته لضمان انتقال الارث الى اولاده هو لا الى اولاد الرجال الآخرين . وهكذا انتقل المجتمع من النظام الاموى الى النظام الابوى بظهور الملكية الخاصة ومعه ظهر نظام الرق الذى لم يكن معروفاً في الشيوعية الاولى ، ظهر نظام الرق لما للرقين من قيمة اقتصادية في فلاحه الارض والزراعة بوجه عام . وبهذا كان اكتشاف الزراعة هو الخط الفاصل بين مرحلتين في تاريخ البشرية مرحلة الشيوعية البدائية ومرحلة الملكية الفردية وهكذا كانت مرحلة الملكية الفردية بداية ظهور نظامين من اهم النظم الاجتماعية التى عرفتها الانسانية : نظام الرق ونظام

الاسرة حيث الرجل لا المرأة هو راس الاسرة وراس القبيلة
وراس الدولة وراس كل تنظيم اجتماعى . وتوالت
الدراسات لتؤيد جوهر هذه النظرية بين الهنود الحمر
والاسكيمو وزنوج افريقيا واليونان والرومان ومصر القديمة
وسكان ميلانيزيا وبولونيزيا . . . الخ . اراكم تتعجبون
يا سادة متأسف انى لست مسلما بالشكل الكافى .

القط الاسود الاليف : لا . لا . هذا الكلام مثير .
انا شخصيا متحمس . انا رايت بعض مظاهر الزواج
الشيوعى بين السلوك والدنكا عندما زرت الملكال فى العام
الماضى . وانا شخصيا غير مهتم بالتنظيم الاجتماعى ،
ولكنى مهتم بالتكوين النفسى لفترة الانسان . الحب والغيرة
. . كل فنان يجب ان يهتم بالحب والغيرة .
ورأى ان انسان الغاية ارقى من انسان الفيللا . . . انسا
بورجوازى ولكنى متحمس لهذا الكلام .

مالينوفسكى : على العموم انت لست وحدك المتحمس
قبلك فى القرن التاسع عشر التقط آباء الشيوعية كارل ماركس
وانجلز وبييل كلام مورجان ورفعوه راية لتحرير المرأة .
انجلز وبييل بالذات اقاموا المظاهرات - فى الكتب طبعا -
لاراء مورجان وفصلوا منها ثوبا غريبا على قامة نظريتهم
الشيوعية : مادام نظام الاسرة وسيادة الرجل قد ظهر!

- كنظام الرق - بظهير الملكية الفردية فباختفاء الملكية الفردية سيختفى نظام الاسرة وستختفى سيادة الرجل وسيختفى نظام الرق . في البدء كانت شيوعية الفطرة وفي النهاية ستكون شيوعية المدنية . الملكية العامة لوسائل الانتاج . . . الآلى والحيوانى والنباتى . . . الفكرة رومانتيكية غريبة وتشبه البيوت التي بينها الاطفال بالمكعبات .

ابو الفتوح الصباح : الفكرة حيوانية حقيرة .

ابن سيركوف : الفكرة صحيحة نظريا ولكنها سابقة

لاوانها عمليا .

ابن ماركوف : الفرق بين زراعة أبناء الاسرة وزراعة

أبناء الدولة هو الفرق بين الكولخوز والسوفخوز .

وبالتقدم من الاشتراكية الى الشيوعية ستتقدم من

الكولخوز الى السوفخوز . الفكرة صحيحة نظريا كما قال

ابن سيركوف ولكنها سابقة لاوانها .

ابو الفتوح الصباح : يا صانع الاقنعة هل أنت نائم ؟

أرحنا من هذه الحقارات والتهجم على المقدسات والا

خلعت هذا الحذاء ، اطردها هذا الخواجه وكل هؤلاء

الضبية .

مالينوفسكى : ولماذا تطردنى ؟ أنا من رأيك ولكن

لغير الاسباب التي تجديها . نحن في أوروبا نرد على العلم

بالعلم ونرد على المقدسات بالمقدسات . كنا مثلكم وانضع
منكم ، نغضب اذا لم يعجبنا كلام الغير ونعقد محاسنكم
التفتيش ونحرق خصومنا في الراى على الخازوق . ولكننا
اكتشفنا ان الاضطهاد ، للافكار كالزيت للنار يزيدهما
اشتعالا كما حدث في تاريخ الايان والمذاهب الكبرى
وتعلمنا الدرس فعالجنا هذه المسائل بالمؤتمرات والندوات
... بالحوار . بالحوار في الكتب وفي الصحف وفي القاعات
وفي الاذاعة والتلفزيون وهم يفعلون مثلنا في امريكا ، وقد
بلغنى انهم اخذوا بهذا المبدأ ايضاً في الاتحاد السوفييتى
بعد موت ستالين . المسألة بسيطة . نحن اكتشفنا ان
القردة العليا متخصصة في الزواج وان هذا من اسباب
تقدمها على القردة السفلى كالنسانيس مثلا . اكتشفنا
ان التخصص في الزواج او ما نسميه نظام الاسرة لبس
اختراعاً بورجوازيما كما يقول بعض الشيوعيين ولكنه
اختراع انساني عظيم لا يقل مثلاً عن توليد النار او
اختراع العجلة او تفتيت الذرة ، وهو السبب الاول او من
الاسباب الاولى في الانتقال من ما قبل التاريخ الى التاريخ
لان تحويل القطيع لوحدها صغيرة اسمها أسر كان معناه
تعين معلم او معلمة بالمجان في كل بيت ، ملايين المعلمين
دون ان يدفع المجتمع قرشاً واحداً من مرتباتهم ، معلم
ومعلمة على كل عشرة اطفال . باختصار ضاعفنا عدد

المعلمين في المجتمع ، لان الطفل في زواج القطيع لا تربيته غير امه ، وهى عادة مشغولة بأعمال الاسرة المباشرة . أما في مجتمع الاسرة فالاب يساعد الام في تربية الطفل . وبعد فترة الحضانه يصبح المعلم الاب انفع للطفل من الام المعامة لان الأم تعلمه كيف يستهلك اما الاب فيعلمه كيف ينتج . المسألة ليست ان امتياز الرجل على المرأة هو الذى خلق الحضارة كما كان يقول باخوفن . المسألة أن مجتمع الاسرة ضاعف عدد اعضاء هيئة التدريس فيه فنشأت الحضارة وقد ثبت بالتجربة أن الوالدين بوجه عام اخلص في تعليم الابناء من الغرباء لانهم اولا يرون انفسهم من ابنائهم ولانهم ثانيا متفرغون لهم . وكل هذا بالمجان . تصوروا . وانتم في مصر شعب حكيم ، فقد بلغنى ان عنكم مثلا يقول في وصف خبيبة الامل : « يابانى في غير ملكك يا مريى فى غير ولدك » . واذا كان عقوق الابناء مشهورا فما بالكم بعقوق أبناء الغير ! باختصار : نظام الاسرة كان ثورة تربوية وتعليمية . وهذه الثورة ساعدت على نقل الانسان من الهمجية الى المدنية . صحيح ان ظهور نظام الاسرة ترتب على ظهور نظام الملكية الخاصة ولكن العودة لنظام الملكية العامة لا يستلزم بالضرورة العودة لنظام الزواج الجماعى هذه تكون غباوة لان معناها التنازل .اختياركم عن نحو ثلاثة ملايين مدرس خصوصى متفرغ مجانى . وفي

الهوجة الشيوعية الاولى ظن الروس حتمية الزواج الجماعى
مع حتمية الملكية الجماعية مجرد انهم قرأوا هذا الكلام فى
انجلز وبيبل ثم تخلصوا فورا من هذه الحرفية الصببانية
وحافظوا على نظام الاسرة بعد ان عدلوا بعض قوانين
الزواج البالية . وهذا ما فعلناه نحن ايضا عدلنا بعض
قوانين الزواج البالية وحافظنا على نظام الاسرة . . .
لا تخافوا يا سادة . انا لست شيوعيا ولكنى اقول لكم
انه ليست هناك علاقة حتمية بين الملكية الجماعية والزواج
الجماعى والا كانت العودة الى الشيوعية الاولى معناها
العودة الى الاسلحة الاولى أو الحياة على طريقة الهنود الحمر
ويمكنكم ان تؤمموا كما تشاءون اذا وجدتم فى هذا نفعا
لكم ، ولا تخافوا على نظام الاسرة . انا شحصيا لا اوافق
على نظام الملكية العامة ولكنى تتبعت بامتعاض شديد
حملة التشهير بالاتحاد السوفييتى التى قامت بهما صحافتنا
الصفراء بين الحربين لتثبت أن الروس عادوا - جنسيا -
بسبب الشيوعية الى فردوس القطط والكلاب . انهم ما زالوا
مثلنا اقرب الى القردة العليا .

صانع الاقنعة : هل انتهيت يا خواجه ؟

مالينوفسكى : انا لم انته بعد . . . انا تعبت .

صانع الاقنعة : انت ممل جدا ولكنك مفيد . سنعطيك

اسبوعا كاملا للراحة . . . حتى يوم الجمعة القادم .

رفعت الجلسة .

x المحاوره الخامسه x

بتاح / حناب وحمورابى وشركاهم

قال رئيس الجلسة ، صانع الاتنة ، للخواجة
مالينوفسكى : - تفضل يا خواجة • قل كل ما عندك فى
جلسة واحدة • هذه ليست اكاديمية ولا قاعة محاضرات ،
انما مجرد حوار فكرى ••• ثم ان بعض الاعضاء مستاء
من تجديد اقامتك ، ويطلب باعادتك فورا الى وطنك
• ماول طائرة •

مالينوفسكى : انا لا وطن لى • العالم كله وطن •
الستم تقولون فى بلادكم الجميلة : العلم لا وطن له ؟ لنا
عالم : اذن لا وطن لى • انظروا الى اسمى : مالينوفسكى -
اى روسى بولندى • ومع ذلك اقيم فى انجلترا وادرس فى
جامعات انجلترا واطوف بجامعات العالم •

ابن ماركوف : ابيض او احمر ؟

مالينوفسكى : لا ابيض ولا احمر ، انا من اللون الثالث

ابن ماركوف : وما هذا اللون الثالث؟

مالينوفسكى : أنا تكنوقراطى ، خبير من طبقة الفنيين
كما تقولون فى بلادكم : خبير اجناس وعادات وتقاليد ،
والتكنوقراطية ليس لها لون محدد . هى تخدم فى كل
نظام ، ، تماما مثل البيروقراطية ، تماما مثل طبقة المديرين
نحن مثلا ندرس الاجناس او نصنع الصواريخ او تدعونا
البلاد المختلفة لوضع التقارير عن مشاكل التضخم او اختلال
ميزان المدفوعات او آلتفجارات السكانية او التنمية
الصناعية ، نحن لا نسال : ما لونكم ؟ راسمالي ؟ شيوعى ؟
ثيوقراطى ؟ سمخراطى ؟ جنبلاطى ؟ فلماذا تسالوننا عن
لوننا ؟ نحن خبراء .

مجاهد بن الشماخ : خبراء تخريب .

مالينوفسكى : نعم هذا صحيح . بعضنا فعلا خبراء
فى نفس المعتقدات الفاسدة ، على كل حال انا لست منهم ،
لو كنت منهم لكانت مسز مالينوفسكى تصيف فى دوفيل
وبياريتز ولاتوكيه بدلابن ان تصيف فى برايتون وبلاكبول
مع زوجات البقالين وموظفى البنوك . اننا مجرد خبير
اجناس وعادات وتقاليد ، اذا اردتم مثلا ان تعرفوا ما
اصل عادة الختان عندكم رغم عدم النص عليها فى ديانتكم
او لماذا تزورون المقابر رغم ثهى ديانتكم عن زيارتها ، او
لماذا تقاومون دعوة تحديد النسل رغم انكم مهسدون

بمراجعة سنة ١٩٨٠ حيث سيبلغ تعدادكم ٤٥ مليوناً .
فأنا في خدمتكم . كل ما أطلب هو عقد عمل خمس سنوات
قابلة للتجديد لمدة اقامتي ، أنا شخصياً من نـوع
التكنوقراطية التي تصنع القنابل الذرية وسفن الفضاء،
وأفكار السلام وأفكار الدمار ولا يهملها من يستعملها أو
لماذا يستعملها ، ضمير مهني ، نعم . أما ضمير انساني
فلا . نحن خدم ممتازون في كل دولة . أو على الاصح
كنا خدماً ممتازين حتى الحرب العالمية الثانية ، فلما
زاد عدداً بتعدد المدنية تكونت منا طبقة لا تستطيع
اي دولة الاستغناء عنها ، والشعار الآن في بلادنا : يـا
تكنوقراطي العالم اتحدوا لتحكموا العالم ، هناك طبعا
كلام فارغ كثير عن اخطارنا وضرورة الحد من شوكتنا ،
ولكن كل هذه سخافات ، لانه ليس لنا بديل في اي
نظام . انتم مثلاً ، أنا أقمت بينكم اسبوعاً واحداً وعرفت
للفور ان عندكم مشكلة تجمع طبقتي تكنوقراطي -
بيروقراطي - اداري لمكافحة تقدم الاشتراكية في بلادكم ،
وهذا مألوف ، ثم زواج مصلحة غير مألوف بين انتهازيه
اليمن وانتهازية اليسار ، انتم بحاجة الى خبير أو خبيرة
في التنظيم الاجتماعي أنا ارشح لكم صديقي البروفسور .
صانع الاقنعة : ما كل هذا الاستطراد يا خواجه ؟
انت جئت لتحدثنا عن حال المرأة الذهبية في العصر الذهبي ،

فما كل هذا اللغو عن التكنوقراطية والبيروقراطية ؟ . . .
ادخل في الموضوع والا فاسكت .

مجاهد بن الشماخ : ألم اقل لكم ان هذا الاوروبي
النجس لا يريد ان يعود الى بلاده ؟ هل سمعتم ؟ انسه
بطلب عقد عمل . . . اطرده .

صانع الاقنعة : بالحسنى بالحسنى .

كاهن انوبيس : أنا احتج على الخواجة مالىنوفسكى
اذا استمر في الكلام ، هو حدثنا عن حالة المرأة الذمبية
فيما قبل التاريخ ، وهذا حقه لانه اختصاصى في مجتمعات
الفترة الذمبية . اما ان يدخل في التاريخ فهذه اساءة
لتاريخنا ولتاريخ الجنس البشرى . اذا تكلم مالىنوفسكى
عن قدماء المصريين فسأنسحب . لن اسمح ان يعامل قدماء
المصريين معاملة البوشمان والهوتنتوت والاشانتي . الينا
بمؤرخ .

مالىنوفسكى : انتم فعلا بحاجة لمؤرخ . الى متعهد
توريد حضارات تديمة ووسيطه وحديثة . أنا سنعيد
يا سادة بانكم اصبحتم تميزون بين الانثروبولوجى والمؤرخ
لا بد ان هذا حدث بعد ثورة ١٩٥٢ ، فقد كنا ايام
فؤاد وفاروق نرسل لكم السمكرى فتعينونه مديرا للمصانع
والشاويش فتعينونه حكمدارا والمرابى فتعينونه مستشارا
ماليا . انا اعرف طبيبا بيطريا كان يدرس الادب الانجليزى

بجامعة القاهرة ، على الاقل انتم تفضلون الآن الحواة لشغل المناصب الكبرى . والحواة ارقى بكثير من هذه الحثالة .
فحواة الثقافة يستطيعون ان يثبتوا لكم ان الشيخ زبير هو الذى كتب اعمال شكسبير. وان عباس بن فرناس هو الذى بدأ فى غزو الفضاء وان اللغة العربية اقدم من اللغة اليونانية وان ايخمان رسول من رسل القومية العربية وان المسيح صلب ولم يصلب بحسب الظروف الدولية تماما مثل الحواة من كرادلة المجمع المسكونى ، وان خوفو بنى الهرم لتنشيط السياحة وان ابا ذر الغفارى هو مؤسس المادية الجدلية وابن خلدون هو واضع الاشتراكية العلمية . وحواة الاقتصاد يثبتون لكم كل يوم بعلم السيمياء ان الرقم القياسى لنفقات المعيشة فى انخفاض مستمر وان القاهرة أرخص بلد فى العالم وان نسبة نجاح الخطة الخمسية ٥٠٠٪ وان احتياطات مصر من البترول تربو على كل احتياطات العالم مجتمعة ، وانه انفع للاقتصاد القومى ان يبيع خريجو الجامعات الزائدون الدجاج فى الجمعيات التعاونية من ان يقوموا بمخو الامية ، وامهر هؤلاء الحواة جميعا هم من يستطيعون ان يثبتوا ان موارد مصر تستطيع اطعام سكان الصين الشعبية ، سانسحب نورا ايها السادة . واشكركم على حسن الضيافة وحسن الاستماع . اذا اردتم مؤرخا ، فلماذا لا تدعون صديقى السيذ جيمش فريزر او هيكله العظمى على الاصح ؟

- **كاهن اتوبيس : نحن نعرف من ندعو يا خواجه**
- كل اساتذة جامعتنا يقولون : هاتوا روستوفتسيف
- **صانع الاقنعة : روستوف ٠٠٠ ايه ؟**
- **كاهن اتوبيس : روستوفتسيف**
- **صانع الاقنعة : لماذا تختار هذه الاسماء الصعبة ؟**
- **كاهن اتوبيس : انا لا اختار ، هذا احسن الموجود**
- **مجاهد بن الشماخ : انا معترض على دعوة هذا**
- **المبشر المسيحي الشيوعي الامريكى ، الاترون ان اسمه**
- **شيوعى ؟**
- **ابن ماركوف : موافقون ٠٠٠ اى : اوف ، او ايف**
- **اوانسكى او انسكى موضع ثقة فى اى علم من العلوم . مثلا**
- **مندليف حجة فى الفلزات واللافلزات ودياجيليف حجة فى**
- **الرقص ، وليوننتييف حجة فى الاقتصاد وزينوفيفيف حجة**
- **فى المؤامرات كذلك بافلوف حجة فى البيولوجيا وتيتوف**
- **حجة فى غزو الفضاء ومولوتوف حجة فى السياسة الخارجية**
- **وجوكوف حجة فى الحرب ورمسكى كورسكوف حجة فى شهر**
- **زاد وشرباقوف حجة فى الفلسفة وتوجان بارانوفسكى**
- **وماياكوفسكى ، تم لا تنسبوا أيضا من ينتهون بمقطع اين**
- **مثل بوخارين وجاجارين وباكونين وبورودين . كلهم كلهم**
- **موضع ثقتنا**

ابن سيركوف: لا • لا • روستوفتسييف امريكى من
اصل روسى • ثم انه ليس شيوعيا •
ابن ماركوف : ولو •••

مجاهد بن الشماخ : بالضبط هذا يثبت ما قلته من
انه جامع النقيضين : مبشر وشيوعى •
صانع الاقنعة : يبدو ان الاغلبية موافقة ، ولكن
لغير الاسباب التى ابداهها مجاهد بن الشماخ ••• ادباؤنا
لم يسمعو بعالم فى التاريخ القديم بعد شمبوليون
وماسبيرو ومرييت لان هناك شوارع بأسمائهم حول
الانتكخانة ، وبالاخص ماسبيرو الذى فيه التليفزيون العربى
واذونات الصرف ، وعندما تشطب الحكومة اسماءهم وتسمى
الشوارع شارع احمد باشا محرم وشارع سليم بك حسن
وشارع كمال الملاح فلن يعرف ادباؤنا احدا من هؤلاء
الخواجهات •••• القاعدة فى مصر : اسمى على شارع اذن
فأنا موجود • سليمان باشا الفرنساوى مثلا الغينا شارع
مالغينا وجوده • هل توافقون على دعوة شمبوليون ؟
المعلم العاشر : ولكن معلوماته قديمة • ادع برستيد او
اليوت سميث او فلنדרز بيتري •
اصوات كثيرة : موافقون • موافقون • الدهن فى العتاقى
صانع الاقنعة : الاغلبية موافقة • ادخل يا شمبوليون

وهنا اختفى مالفنوفسكى فى طرفة عفن ، وءءسل
شءبولفون فى طرفة العفن الاءرى .
شءبولفون : أنا مء منذ ١٣٠ سنة فلماذا تزءءوننى
من ءبرى ؟ ماذا ءرفون ؟

صانع الاءعة : مءأسفن ٠٠٠ ولكن ارءنا ان نعرف
مء شفاء فى ءال النساء فى العالم ءءفم لنءارنهن بنساء
الفوم . هناك بفنناهن فقول ان نساء الزمان العابر ءن
افضل من نساء الفوم ، وفطالب لءلك بالءوءة للزمان العابر
!نا انبسه على ءمفء ءءافرفن ٠٠٠ ممنوع المقاطعة .
شءبولفون : أنا لا اعرف ءكافة افضل وارءاً هءه .
هءه اءكام ، وانا لا اعامل الامع ءءافءق فقط .

ابو الفءوح الصباء: فعنى ان نساء زمان ءن اولا
بءبلن ءكم الرءال ولا ففءرن فى هءه السءءفءاء ءءى
فسمونها الفوم ءءرفر المرأة ٠٠٠ وءن ءانفا اكثر عفة من
نساء الفوم .

صانع الاءعة : ممنوع ءءلفق .

شءبولفون : عفة ؟ هىء ٠٠٠ هىء ٠٠٠ هىء ٠٠٠
افن ؟ فى الفونان ؟ انء لا ءءصد ان هفلانة ءرواده وففءرا
وءوءاستا ومفءفا وءلففءمءسءراكن نماءء فرفءة فى العفة ؟
الاءب الفونانى والرومانى اكثره منسوء ءول نساء ءائناء
او ضارفاء . فى مصر القءفمة عنءكم قصة زلفءة امراة

العزیز تتردد كثيرا في الادب المصرى القديم • مكررة
بحذافيرها في قصة الاخوين وفي قصة المرأة عاشقة الفتى الذى
أكله التمساح المسحور وغيرها • أليس الادب مرآة الحياة ؟
أما في بابل فهيرودوت قبل نحو ٥٠٠ ق م (١٩٩/١)
قال ان كل امرأة في بابل ، يعنى العراق ، كانت قبل زواجها
تذهب الى معبد عشتروت ربة الاخصاب وتسلم بكارتها
لاحد الغرباء ، اى غريب يأتى ويلقى في حجرها قطعة من
النقود • طبعا هذه كانت طقوسا دينية • نوع من النذر
كما تسمونه هنا ، لربة الاخصاب ، او قربانا تقدمه المرأة
لربة الاخصاب ، وكان محرما عليها ان تجرب هذه التجربة
مرة ثانية بأى حال من الاحوال ، اذا كانت هذه عفة ،
فلا بأس ، لا بأس ، في امريكا اليوم كثير من البنات يقمن
بهذه الجراحة قبل الزواج عند الطبيب ، لاسباب صحية
لا لاسباب دينية • تعددت الاسباب والفعل واحد •

ابو الفتح الصباح : أعوذ بالله أعوذ بالله

شمبوليون : اما حكاية خضوع المرأة لولاية الرجل في
العالم القديم فهى صحيحة بوجه عام : صحيحة بين اليونان
صحيحة بين الرومان • المجتمع الوحيد الذى شذ
عن هذه القاعدة هو المجتمع المصرى القديم •

• فى معلوماتى القليلة عن تاريخ الشرق القديم ان مصر
هى التى ابتدعت حركة تحرير المرأة • مثلا فى بردية آنى

(نحو ١٣٠٠ ق م٠) ما يثبت ان الزوج المثالى فى مصر القديمة هو الذى كان يغسل الصحن مع زوجته ويقشر معها البطاطس مثل الزوج الامريكى ، ويعاملها معاملة الند . فلا يستعمل معها « المريسى » ، آنى ، حكيم الدولة الحديثة ، يضع للزواج القواعد الذهبية للزواج السعيد فبقول :

« لا تمثل دور الرئيس مع زوجتك فى بيتها اذا كانت ماهرة فى عملها ، ولا تسألها عن شئ اين موضعه اذا كانت قد وضعت فى مكانه الملائم .
« واجعل عينيك تلاحظان فى صمت حتى يمكنك ان تعرف اعمالها الحسنة » .

« وانها لتكون سعيدة اذا كانت يدك معها تعاونيا . »
فى عصركم الذهبى اذن كان الرجل الذهبى ريمطونا عند المرأة الذهبية . وكانت المرأة المصرية تسمى « نبت بر » اى « ست الدار » او « ست البيت » ، ولكن النقوش والنصوص المصرية القديمة تثبت ان سيادتها تجاوزت مملكة النبت ، او على الاصح جمهورية البيت الديمقراطية الشعبية . فكانت تزرع وتقلع وتخرج الى المدرسة والى السوق وتتاجر وتزاول مختلف الحرف من الصناعة الى الصيد وتتسكع فى الطرقات بلا حارس او شابايرون او رقيب وكانت طبعا سافرة . وقد استخلص بعض المؤرخين من

ادب الغرام فى مصر القديمة ان المرأة هى التى كانت تخطب الرجل ٠٠٠ على اى حال فى كل تاريخ بابل واشور لا نسمع الا عن اسم ملكة واحدة حكمت فى الرجال هى سميراميس . مؤسسه مدينه بابل وبانيه الحدائق المعلقة المشهوره . اعتقد انكم فى القاهره اقمتم فندقا لتخليد ذكراها ، وفى اعلاه روف جاردين لتخليد ذكرى الحدائق المعلقة . اما فى مصر فقد حكمت ملكات كثيرات ، وكن ذوات سطوة عظيمه : احيانا بمفردهن وحيانا مع ازواجهن . احيانا بقوة القانون وحيانا بقوة الواقع . خذوا مثلا نايت حطب زوجة مينيا ومريت نايت زوجة اوسافايس وحشيبسوت اخت تحتمس الثالث وتاى ونفرتيتى ونفرتارى ونيوتوكريس وكليوبترا .

خولة السايبرية : لا تنس شجرة الدر يا خواجه

شهبانيا .

شهبوليون : بالضبط . بالضبط . وحتى بعد انتشار اديان التوحيد كان عندكم ميلانه المصريه امبراطوره ديزنطة وام الامبراطور قسطنطين ، وكذلك ست الملك وشجرة الدر ولو انسا نظرنا فى كل حضارات العالم القديم لما وجدنا شعبا سلم ذقنه للنساء الملكات قبل الشعب المصرى . مجرد الاحصاء يكفى . طبعاً هذا لا يدل على الضعف لانكم لاشك كنتم تضربون نساءكم عند الضرورة كما كنا نحن

نفعل منذ قرون . ولكن هذه مسألة أخرى . انما يدل هذا على ان المرأة عندكم حصلت على حقوقها السياسية من اقدم العصور . فلماذا تشتكون ؟ ثم ان ملكاتكم عرف عنهن انهن نساء جميلات طامحات بارعات في فنون الحب والحرب والسلام ، كما كن ماهرات في الدسائس لحسابهن الخاص ولحساب الدولة . ونحو عام ١٥٠٠ ق.م . استثنى نفوذ النساء عندكم واصل نفوذ الرجال لدرجة ان كثيرين من الملوك تحولوا الى مجرد امراء يحملون لقب « زوج الملكة » على طريقة دوق اندبره الآن في انجلترا . وطبعاً هذا الاسراف في تحرير المرأة ، ككل اسراف . كان له رد فعل شديد ضد حكم النساء ، فقامت حركة بقيادة الجيش لاقصائهن عن الحكم ، وتبلورت هذه الحركة في النزاع المشهور بين نختمس الثالث واخته حتشبسوت . ولكن المرأة المصرية مع ذلك لم تياس . فبعد ان ضاع سلطانها في القصر حكمت مصر من المعبد ، ونحو القرن ٨ ق.م . اى في الاسرة ٢٣ ، اصبحت احدى الاميرات رئيسة الكهنة بمعبد آمون في طيبة ، وكانت تستشار او على الاصح تستخار بالعرافة ، فقد كان الاله آمون يتكلم من فمها وينطق بلسانها ، قبل اتخاذ اى قرار سياسى خطير . ولم يكن مسموحاً لها ان تتزوج الا من الاله آمون ، ولكن سمح لها ان تتبنى بنتاً صغيرة تدربها لتخلفها في وظيفتها . وبذلك أصبح

معبد آمون مقرا لحكومة غير رسمية في الاقصر استمرت أكثر من ٢٠٠ سنة حتى غزا الفرس مصر .
والمرأة المصرية لم يقف نفوذها عند السياسة بل سيطرتها في البيت أيضا ، لدرجة ان الرحالة اليونان دهشوا من حرية المرأة المصرية واستفحال سلطانها .
ديودور الصقلي مثلا كتب ان طاعة الزوج لزوجته كانت من الشروط التي ينص عليها في عقود الزواج في مصر . ولكن الارجح ان هذه كانت نكتة يونانية سمجة عن المصريين كالنكت التي يطلقها عندكم البحاروة عن الصعايدة والصعايدة عن البحاروة ، وصديقي العلامة فلندرز بيتري في القرن ٢٠ كتب ان « الزوج حتى في العهود المتأخرة كان ينزل لزوجته في عقد زواجه عن جميع املاكه ومكاسبه المستقبلية » يعنى المثل عندكم في مصر القديمة كان زواج وخراب ديار . على العموم اى انسان معذور اذا استخلص هذه الصورة عن الحياة الزوجية في مصر القديمة ، حين يقرأ في قصيدة غرامية كلام البنت وهي تقول للولد :
« يينا صديقى الجميل ! انى ارغب ان اكون صاحبة كل املاكك ، بوصفى زوجتك » . فهو بمثابة قولها : « خدنى في احضانك لانشل محفظتك » . طريقة غريبة في الغرام ، ولكنها على الاقل تدل على صراحة نساء العصر الذهبى عندكم . نساؤنا اليوم يفعلن هذا ولكن بالحدائق . وفي

المتحف المصرى عقد زواج من سنة ٢٢١ ق.م. بين رجل اسمه امحوتب وبنيت اسمها تاحاتر نصه :

« يقول امحوتب لتاحاتر » : « لقد اتخذتك زوجة ، وللأطفال الذين تلدينهم لى كل ما املك . وما سأحصل عليه الأطفال الذين تلدينهم لى يكونون أطفالى ولن يكون فى مقدورى ان اسلب منهم أى شىء مطلقا لاعطيه الى آخر من ابنائى . او الى أى شخص فى الدنيا . ستضمنين طعامك وشرابك الذى سأجريه عليك شهريا وسنوياً ، وسأعطيه لك اينما اردت » . (غالبا يقصد سواء فى بيتى أو بيت أبىك أو ربما فى المعصرة أثناء الصيف) . واذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة وإذا اتخذت لك ضرة أعطيتك مائة قطعة من الفضة (وهذا أما رشوة لها لتبقى معه أو اعتراف بأن التعذيب العقلى افطع من التشريد) : ويقول أبى : « تناولى عقد الزواج من يد ابنى كى يعمل بكل كلمة فيه . . . انى موافق على ذلك » .

ثم يلى ذلك توقيعات ١٦ شاهدا على العقد . والعقد معقول لانه يعطى كل شىء للأولاد وليس لتاحاتر نفسها ، ومصادرة كل أملاك امحوتب لحساب أولاده من تاحاتر ليس له الا معنى واحد فى مجتمع كان يسمح بتعدد الزوجات : ان تاحاتر هى الزوجة « الشرعية » الوحيدة ، وكل من سياتى بعدها سيدخل فى باب « المحظيات » وهى أنجح طريقة للحد

من تعدد الزوجات وانبغ تقنين املاك الاسرة ، وهذا
ما جعل الطلاق نادرا في مصر القديمة ، الا في عصور انحطاط
وكان للمرأة حق طلب الطلاق تماما مثل الرجل حتى جاء
اليونان بأفكارهم الاوروبية الرجعية وقصروا حق اطلاق على
الرجل ايام البطالسة . . اما تعدد الزوجات فلم يكن
معروفا الا في الطبقات الموسرة . وكان ابناء السعبد يكتفون
بزوجه واحدة ، غالبا لضيق ذات اليد . وقد اكتشفت
المرأة المصرية الحديثة هذا السر ، وهذا هو السبب في
انها تنتف دائما ريش زوجها اولا بأول حتى لا بطير من
عش الزوجية . ومع ذلك لم يفكر احد منكم أن هذا يؤثر
في اقتصادكم القومي ، على كل حال ، واضح من الانب المصرى
القديم ان المصرى كان رومانتيكيا وواقعيا وكلاسيكيا ورمزيا
معا في فكرته عن المرأة وفي معاملته لها . اما اللاحقول فلم
يظهر عندكم الا في الالف سنة التى حكمها الترك والماليك ،
خذوا مثلا بتاح حتب ، حكيم الدولة القديمة (٢٥٠٠ ق م)
وهو يحض ابنه على الزواج ويسلمه مفتاح السعادة
الزوجية .

« أحب زوجتك في البيت كما يليق بها واملأ بطنها

واكس ظهرها » .

« وأعلم أن الدهون العطرة علاج لعضائها .

« أسعد قلبها مادامت حية .

. « لانها حقل طيب لاولادها ٠٠٠ »

« وان عارضتها كان فى ذلك خرابك ٠٠٠ »

اما وصايا الحكماء فى احترام المرأة كأم فنجدها فى
بردية بولاق حيث يوصى الحكيم الابن باحترام أمه
للاسباب البيولوجية المعروفة ثم يضيف :
« ولما دخلت المدرسة وتعلمت الكتابة كانت تقف
فى كل يوم الى جانب معلمك ومعها الخبز والبيرة جسات
بهما من البيت » .

والاغلب ان الخبز والبيرة هنا للمعلم لا التلميذ . على
كل حال الوصف رومانتيكى ويجعل الانسان يتبنى لسو
كان معلما فى مصر القديمة يشرب البيرة بين الحصص . فاذا
كانت ام تاتى للمعلم يوميا برغيف وزجاجة استيلا كان هذا
اجدى على المعلمين من رتبات وزارة التربية والتعليم ، الا
توافقوننى على ان غذا كان عصرا ذهبيا للنساء والمعلمين ؟
الماركسية المسخفة : كيف تقول انه كان عصرا
ذهبيا للنساء وانت تعلم ان القانون المصرى القديم كان يبيع
امتلاك الاماء .

شهبولكيون : وامتلاك العبيد ايضا . امتلاك البشر
للبيشر مسألة اخرى . والحقيقة ان الحالة تحسنت بعد
سنة ٢٠٠٠ ق م . تقريبا بتعديل قوانين الاحوال الشخصية
فى مصر القديمة . فقبل غذا التاريخ كان « الزواج » مجرد

الزواج بالمعنى القانونى اى الزواج بعقد ، امتيازاً تتمتع به الطبقات الممتازة وحدها ، أما ابناء الشعب فكانوا يتزوجون بلا عقود . فثارت ثورة شعبية كبرى نحو ٢٠٠٠ ق م . وكان المتظاهرون من العمال والفلاحين والحرفيش يرفعون اللافتات ويهتفون : « القبط والقروء تتزوج بلا عقود ! » « تحيا عقود الزواج ! » « نريد عقود زواج ! » واذعنت الطبقة الحاكمة فأعطت لابناء الشعب حق الزواج بعقود . ويقول بعض المؤرخين ان البروليتاريسا المصرية لم تنتفع كثيراً من هذه العقود لان العقود تنظم لالكية والبروليتاريا بلا ملكية . ولكن ثابت من الوثائق ان هذه الثورة أعطت الفقراء الحق فى ان تكون لهم « مقابر أسرة » ، تقيم فيها الأسرة شعائر الموتى ، وبهذا وحده امكن الموتى الفقراء دخول العالم الآخر بحسب معتقدات قدماء المصريين ، كانت البروليتاريا المصرية محرومة من خلود الروح قبل هذه الثورة . وبذلك تكون هذه الثورة ثورة ديمقراطية عظمى ، لانها انقذت البروليتاريا المصرية من مصير القبط والكلاب عند الموت وسوت بين جميع المواطنين فى حق الخلود ، وهذا ما نسميه منذ ظهور اديان التوحيد المساواة أمام الله ، تصوروا : حتى هذا كان بحاجة الى ثورة وعلان حقوق الانسان ، وبديهي انه من ليس له أسرة فلا يمكن ان تكون له قبور أسرة ، وبالتالي لا يمكن

الصلاة عليه وتقديم الرحمة أو القرابين على روحه : قمصيره
اذن مصير القبط والكلاب . وعندكم حتى الآن ان كل من
يخرج من مشرحة القصر العيني ولا تظهر له اسرة يكون
مصيره مصير القَطَّاط والكلاب ، رغم ان عندكم جمعيات
للرفق بالحيوان وجمعيات خيرية للرفق بالبشر . وهذا
هو سبب ارتعاد الفقراء عندكم من الموت في القصر العيني .
أظن ان صديقي مالينوفسكى شرح لكم سبب استماتته
فقراتكم في زيارة المقابر رغم انكم لا تكفون عن تزديد انها
مكروهة في الاسلام وغير منصوص عليها في المسيحية ،
انهم في سنة ٢٠٠٠ ميلادية يحافظون على مكاسب ثورة
٢٠٠٠ ق م . اذ كانوا لا يصيبون المساواة على الارض فلا
أقل من ان بصيبيوها في السماء . طبعاً هذه بقايا وثنية
بينكم ، ولكنكم لستم وحدكم في هذا ، فالعالم المسيحي
ايضا يرتعد مثلكم من مصير القبط والكلاب ، هل
رايتم الآن فائدة نظام الاسرة ؟

والمرأة البصريه طبعاً لم تحصل على حقوقها
السياسية الا بعد ان حصلت على حقوقها المدنية ، ولم
تحصل على حقوقها المدنية الا بعد أن حصلت على
حقوقها الشخصية ، مثلاً كانت البنت ترث بالضبط
مثل نصيب الولد وكانت المرأة تنصرف في أملاكها بالضبط
كما ينصرف الرجل . عندكم مثلاً وثيقة من الاسرة الثالثة

توصى فيها سيدة اسمها نبس - سمحت بأطيانها لأبنائها
وفى قانون العقوبات وقوانين الاحوال الشخصية كانت المرأة
مساوية للرجل تماما . كانت عقوبه الخيانة الزوجية هي
الاعدام لاي طرف من الاطراف : الزوج او الزوجة او
العشيق او العشيقة . عقوبة قاسية طبعا ، ولكنها تقوم على
المساواة على الاقل ، وفي هذا بعض العزاء للجنس اللطيف
ويبدو ان المصريين كانوا ينظرون للخيانة الزوجية نظرتنا
الآن للخيانة الوطنية ويعتبرونها ام الكبائر ، مثلا في بردية
آثر ، حكيم الدولة الحديثة ، يقول آثرى عن الزنا :
« ان ذلك لجرم عظيم يستحق الاعدام عندما يرتكبه الانسان
ثم يعلم بذلك الملا (يعنى تعم الفضيحة) ، لان الانسان
يسهل عليه بعد ارتكاب تلك الخطيئة ان يرتكب اى ذنب »
وانى الحكيم فى مكان آخر من البردية ، يحذر الرجل من
شباك المرأة المحرومة : « ان المرأة البعيدة عن زوجها تقول
لك كل يوم : انى جميلة ! عندما لا يكون لديها شهود
(يعنى عندما تنفرد بك تبدى محاسنها وتغمز فى
اغراء) ، وهى تقف وتلقى الشباك ٠٠٠ ما اشدها خطيئة
تستحق الموت اذا استمع اليها الانسان . » وآثرى فى الحالين
يخاطب الذكور لا الاناث ، فكان سقوط الرجل مع امراة
متزوجة كانت عقوبته اعدام الرجل . وآثرى فى الحقيقة
يخاطب العزاب ، لان برديته موجهة الى شاب اعزب يحضه

ففيها على الزواج ويشرح قوانين الحياة الزوجية ، فكانت عقوبة الاعزب على الزنا مع محصنة عى الاعدام ، فما بالك بعقوبة الرجل المتزوج ! لابد انهم كانوا يعلقونه من اذنيه وعلى العموم نص الثانون في مصر القديمة على ان الزوجة الزانية تفقد حقها في مؤخر الصداق حين تطلق ، وهذا يدل على ان توقيع عقوبة الاعدام كان لا يمارس الا بشروط معينة كالتلبس واصرار الجنى عليه وربما شروط اخرى .

وكان الاعدام المفضل عند المصريين القدماء هو باللقاء الى التماسيح وليس بالقاء الطوب ، وأذا اردتم احياء هذه العقوبة الذهبية فيمكنكم ، نظرا لعدم وجود نماسيح في النيل ، أن تستعيضوا عن ذلك بالقاء الزنا للاسود في السيرك القومي الذي تنشئه الآن وزارة الثقافة واذا اردتم طريقه افعل في النهش والتمزيق فاحكموا على الزناة بالاقامة ٢٤ ساعة متواصلة في مسرح الحكيم او في كافيتيريا سميراميس او في قهوة ريش بين الادباء والفنانين والصحفيين وستكون النتيجة محققة : لن يميز احد لحمه من عظمه .

اننا شخصا لا احب التماسيح ، وفضل بكثير العقوبة البابلية في اعدام الزناة ، فهي طريقة رومانتيكية جدا ، وياحبذا لو اخذ بها المشرع الحديث لانها ستجعل موضوع الخيانة الزوجية الموضوع المفضل عند الفنانين

التشكيليين وترفع مستوى الروايات التي تكتب حول هذا الموضوع ، في قوانين حمورابى (نحو ٢٠٠٠ ق م) ، في حالة التلبس ، التلبس فقط ، كانت العقوبة هي الاعدام غرقا ، كان يلغى بالمرأة وعشيقها معا مقيدين في جلسة او الفرات ، ليعبرا النهر . فاذا نجوا كان معنى هذا ان الاله حكم بالبراءة . واذا غرقا نزل بهما العقاب المنصوص عليه في القانون . ولم تكن هناك الا ثغرات قليلة في هذا القانون ! مثلا الابرياء الذين لا يجيدون السباحة . وهو لم يحسب أيضا حساب نجاة المرأة مثلا وغرق الرجل او العكس ، ربما كان المفهوم ضمنا هو أدائه الخريق بالزنا مع مجهول ، يعرفه الاله ولا يعرفه الناس . وفي هذه الحالة تستريح ضمائر البشر والآلهة ، ويعود كل الى المدينة لبيحث عن خيانة زوجية جديدة . فلا شك ان هذه كانت تسلية يومية جميلة ، وهي أرقى بكثير من مباريات كرة القدم ، وهي لعبة جاءكم بها الاستعمار البريطانى ، على الاقل هذه تسلية عربية ، وطبعا في بابل القديمة كان ينبغى على كل دون جوان وكل خائنة ، اذا ارادا ان يفلتا من الموت ، ان يكونا من ابطال السباحة ، ولا سيما سباحة المسافات الطويلة . ابو هيف مثلا وحنفى محمود ونبيل الشاذلى كانوا يستطيعون ان يفعلوا ماابدا لهم في نينوى او حتى في منفيس ثم يخرجوا السنتم للقسماضى

وللعسس . فمن عبر المانش او اونتاريو او لوجانو سينظر دائما في ازدياء الى المسافة من ميت رهينة الى البدرشين . المؤكد ان احياء هذا القانون سيشجع الرياضة بينكم ، فاذا لم يتقضى على الخيانة الزوجية عندكم فهو لا شك سيجعل منكم ابطال العالم في سباحة المسافات .

آلهم انه حتى في بابل تساوت العقوبة على الزنا ، ولكن للاسف بعد نحو ١٢٠٠ سنة من حمورابى ضاعت الرومانتيكية من بين النهرين او « نهرينا » كما كانوا يسمونها . ففى الدولة الاشورية صاروا في العراق وسوريا يجدهون انف الزوجة الزانية ويخصون عشيقها ويقطعون آذان الوسطاء في الخيانات الزوجية . وحيث يرى الدم يطير الخيال .

اما الزوج الخائن في بابل القديمة فلم يكن نصيبه الاعداء . من ماذا ترون ان بصر القديمة كانت اقرب لفكرة المساواة من بابل القديمة . غير ان قوانين بابل القديمة كانت اكثر عصرية . فعقوبة الزوج الخائن فيها كانت مدنية لا جنائية . كان عليه ان يدفع لزوجته تعويضا ماليا عن خيانتة اذا ارادت ، وهى طريقة عصرية لطيفة يمارسها كثير من الازواج في اوروبا دون حاجة الى قوانين تنظيها . واثبتت انها تمارس ايضا في مصر الحديثة . فالزوج الاوروبى كلما اراد ان يخون زوجته غمرها

بالهدايا : بالمجوهرات ، بالملابس ، بالسيارات ، بالفسح
وكلما زادت الهدايا بعد الزواج كان ذلك علامة سيئة . على
كل حال هذا هو المقابل العصري للتعويض البابلي . أما
في مصر القديمة فالذى كان يأخذ التعويض هو التمساح .
لا الزوجة .

وحتى في بابل كانت المرأة شريكة للزوج لا أمة له .
وقد بلغ من اهتمام حمورابي بحماية الأسرة ان قوانينه
فيها ٦٤ مادة لتنظيم الأسرة من ٢٥٢ مادة ، أى ربع
قوانين الدولة . طبعاً الدولة أيامها لم تكن معقدة كما
هى اليوم . . . على كل حال حمورابي اعتبر أساس الأسرة
هو « الزواج الاول » ، أى ان كل ما بعده فشوش . طبعاً
التسرى كان جائزاً ، ولكن الزوج كان من حقه ان « يتزوج »
شرعاً للمرة الثانية مع الاحتفاظ بزوجه الاولى فى حالة
واحدة فقط ، وهى عقم الزوجة ، وحتى فى هذه الحالة
اشتراط حمورابي ان تغسل الزوجة الثانية قدمى الزوجة
الاولى رمزا لانها زوجة سكوندو ، وكان لا يجوز لرجل
ان يحتفظ بزوجتين فى وقت واحد الا بموافقة المحكمة .

أما الطلاق لسوء السلوك فكان ممكناً للزوج والزوجة
على قدم المساواة على طريقة تكلم الشفوية اذا لم يكن
هناك التزامات مالية ، أما اذا أرادت الزوجة ان تسترد
مهرها ، فهى التى كانت تقدم المهر ، وان يسمح لها بالزواج

مرة ثانية . فكان يتحتم عليها الحصول على موافقة المحكمة
فإذا رمى الزوج على زوجته يمين الطلاق كان مهرها من
حقها وتحتم عليه الانفاق على الإطفال . قوانين عصرية
أخذنا بها نحن في بلادنا بعد ٤٠٠٠ سنة ، باستثناء
حكاية الطلاق الشفوي هذه . فنحن نفضل التهاثر في المحاكم
لأنه مسل للجيران والمعارف وقراء الصحف ، ونقدم
مسرحياتنا الزوجية بالمجان للمتفرجين . على كل حال
هذا عندنا أفضل من ان يؤلف كل متفرج مسرحية عفا
وينسبها لنا ، وهي غالبا ما تكون مسرحيات رديئة . ثم
اننا وجدنا ان العروض الخاصة أمام الحموات والاخوال
والاعمام فقط تخلط الشخصيات فتجعل من البطل وغدا
ومن الوغد بطلا ، وكثيرا ما تحول التراجيديا الى كوميديا
والكوميديا الى تراجيديا . . . وأكثر من هذا فهي تضيع
الحقوق .

والحقيقة أنه لم يستوفى قانون من قوانين حمورابي
مثل القانون الذى يبيع للزوج رهن زوجته واولاده لمدة
اقصاما ثلاث سنوات بموافقة المحكمة لضمان الدين .
هذا كان حقا قمة العصر الذهبى . ولكن للأسف بعد
ألف وخمسمائة سنة من حمورابي فسدت أخلاق البابليين
فأطالوا مدة الرهن وتحول رهن الزوجات والاولاد الى نوع
متخصص من تجارة الرقيق الابيض والاسمر . ولولا حماقة

هؤلاء الاسلاف لا يمكننى ان اقترض على مدام شسمبوليون
ببلغا كبيرا من بنك الكريدى ليونيه واقوم برحلة بحرية جميلة
حول العالم قبل ان تدركنى الوفاة .
والآن يا سيدى الرئيس ، والآن يا اصدقائى الاعزاء ،
استودعكم الله لا عود الى قبرى واكفانى الذهبية واستأنف
احلامي الذهبية عن بلادكم الذهبية التى قضيت كل عمري
ابحث فى احوالها الذمعية وتاريخها الذهبى وانك فى
نقوشها الذهبية : لا تقولوا وداعا ، بل قولوا الى اللقاء .
وهكذا تركنا الخواجة شسمبوليون فجأة بهذه النغمة
الحزينة ، وشيعة صانع الاقتعة بنظرة ساهمة ثم نهض
وانصرف ، وقد نسى حتى ان يقول : « رفعت الجلسة » .
فعرفنا ان الجلسة لا تزال مستمرة عن الحضارات القديمة .

أفروديت الذهبية

قال صانع الاقنعة لحاجب الجلسة ، وكان يدله باسم
الشمعدان المنطفيء لكثرة ما احرق من شموع في حياته :
- انظر يا شمعدان من ذا الذى يطرق الباب .
قال الشمعدان المنطفيء في ادب جم :
- انه يا سيدى ، الخواجة روسوفتسيف .
صانع الاقنعة : سله لماذا جاء .
الشمعدان المنطفيء : انه يقول انه سمع اسمه يتردد
كثيرا في الجلسة الماضية فحسب انكم بحاجة اليه .
صانع الاقنعة : ولكننا لم ندعه . اطلب منه ان
ينصرف .
الشمعدان المنطفيء : انه يصر على الدخول يا سيدى ،
ويقول اننا شتمناه ومن حقه ان يدافع عن نفسه . ثم
انه يقول انه لم يحاضر ابدا في العلم منذ ان مات في

١٩٥٠ أو ١٩٥١ ، فاذا رفضتم ادخاله فهو يطالبكم بتعويض
لانه كاي استاذ جامعي عنده شهوة الكلام وانتم حرمتوه
منها ، وهو قد تحلى . ن تابوته من اجلكم وضيع اكفانه في
الطريق الينا .

صانع الاقنعة : انسا لا اري خطرا من دعوة الخبير،
الاجانب الاموات ، روستوفتسييف بشهادة الجميع اكبر حجة
في العالم القديم ، هل توافقون على دخوله ؟
اصوات : لا مانع . لا مانع .

صانع الاقنعة : تفضل يا خواجه رستوف . . . مع
السلامة يا مسيو شمبوليون . سلم على بونايرت .
روستوفتسييف : في خدمتكم . اي شيء عن مصر
القديمة . بابل ، آشور . اليونان . الرومان .

صانع الاقنعة : لا . مصر القديمة فرغنا منها . تكلم
عن اليونان والرومان .

روستوفتسييف : سيداتي ، سادتي .
على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : قبل ان يبدأ
الخواجة عندى نقطة نظام .
صانع الاقنعة : ماذا تريد ؟

على الزيبق الجوكى : منذ ان نشرت محاضر جئساتنا
السابقة وكل الناس تعتقد انى الايديولوجى الفهلوى ، بينما
اسمى عندكم هو على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك .

وهذا يسبب لى مضايقات شديدة فى كل مكان • أنسا
اطلب نشر تصحيح فى الاهرام • او تغيير هذا القناع الردىء
الذى صنعه لى المعلم العاشر •

صانع الاثعة : ما قولك يا معلم يا عاشر •

المعلم العاشر : الناس على حق فى هذا الالتباس لان
صفة الايديولوجية الفهلوية اوضح فيه منها فى زميله ، ولكن
هذا لمجرد أنه اكثر منه جلبة لا لانه أكثر نهلوية • هو
مثلا يستطيع تنظير اى رغبة أو مصلحة أو سباسة أو
موقف أو عمل أو فشل أو نجاح ويربطه بحتمية الحسل
الاشتراكى وبقوانين الجدلية المجيدة الملتحمة مع الواقع
الجزئى المترابط مع الواقع الكلى فى اطار من الوعى التاريخى
الصاعد ، وكذلك بالتطبيقات المرحلية الفهلوية للاشترابية
العربية المجيدة •

على الزبيق الجوكى : انا احتج • هذه لغة ابن
سيركوف لا لغتى •

المعلم العاشر : لا • انت مخطىء • لغة ابن سيركوف
هى : الاستغلاق الاستيطانى الحاصل من تداخل الذات
والموضوع فى مقولات هوسرل وبراديبك الانحرافية اللامتفائلة
بمصير الجنس البشرى • هل تريد المزيد ؟

صانع الاثعة : كفى • ولساذا سميته اذن بعلى الزبيق
الجوكى ؟

العلم العاشر : لانه الوحيد بين كتاب مصر الذى يعرف جوادا أصيلا اذا رأى جوادا أصيلا ثم يحاول ركوبه لا مجرد التمتع بالنظر اليه ، وهو الوحيد الذى درب نفسه بنفسه على لعبة السرك التى يركب فيها الجوكى على أربعة جياد فى وقت واحد ويضرب بالانس على ظهورها الأربعة . وهو يفعل مثل هذا فى السباق ، والجميل فى الموضوع ان كل جواد منها يعرف ان على الزبيق جوكى للجياد الأخرى أيضا ، فيفكر لحظة فى أن يطرحه أرضا ويغضه ويرفضه ، ولكنه لا يلبث ان يخمره السرور لهذه اللعبة اللطيفة فيحمله مبتهجا ويلعقه . لهذا سميت بالجوكى . أما الأيديولوجية الفهلوية فصفة يشاركه فيها الكثيرون .

صانع الآئنة : ولماذا على الزبيق ؟

العلم العاشر : لان على الزبيق هو زعيم جماعته الشطار الظرفاء فى تاريخ الأدب العربى ، وعلى الزبيق الجوكى باتفاق الكل سمباتيك الى أقصى حد . وهو مثل سميه على الزبيق يعرف كيف يخرج من كل مآزق ، انما شخصيا استلطفه . ولو كنت جوادا لاعطيته ظهري ليعتليه . لكنه للاسف لا يرى فى الأحمار كديرا ، ويستشهد على ذلك بعنادى الشديد ويقول : يا عبيط انت تتصور الكون بالمطلقات على طريقة نيوتن . كل شئ عندك يسير بالتصور الذاتى ، بينما الحقيقة أن كل شئ يسير بالتقائض والأضداد والمراحل الجدلية . فاذا افترضنا ان الحياة سباق . والحياة

سباق فعلا ، فالسباق مراحل ، والمهم في الحياصة ان تكون جوادا كريما • فاذا لم تستطع ان تكون جوادا فكن جوكيا على اقل تقدير • والمهم في الحياة ان يتفاعل كل جوكى مع جواده حتى يقطع به المرحلة • والتفاعل سهل • اسهل ما يكون • اعط الجواد قطعة من السكر يتفاعل معك ويقهقه ضاحكا ويجرى بك الى آخر الشوط ، او الى آخر المرحلة • المهم ان يجرى بك ولو مرحلة واحدة • فكل مرحلة تقطع توضح الرؤية لانها تقربك من الهدف • اما انت فلن تدخل سباقا ابدا لانك تصر على البرسيم ، والبرسيم يجعل اذنك ملولتين ، ولطول اذنك لا يرى الناس انسك جواد مع انك بالفعل جواد ، واعتقد ان كثرة اكل البرسيم قد احدثت فيك تغييرا عضويا فجعلتك لا تصلح لشيء الا حمل الاثقال : مرحلة متوسطة بين البغل والحصار • جرب السكر بدلا من البرسيم وترقب النتيجة • وكنت دائما اجيبه : خل نصائحك لنفسك ، فانت اخيب جوكى في الوجود ورغم كل ما تعطيه من السكر لكل الجياد • اما حكاية الزنبرك فهي مجرد تكرار لنفس المعنى الموجود في على الزينق : تعنى الروغان وصعوبة الاحتواء • واحدة منها تكفى • اذا كان قناعى لا يعجبه فاصنع له قناعا •

السندباد الجديد : انتم تضيعون الوقت في المهاترات • نحن جئنا لنناقش الرجعية والتقدمية • ارجئوا حكاية الامتعة وتكلموا فيما يفيد •

روستوفتسيف : هل ابدا يا سيدى الرئيس ؟

صانع الاقنعة : ابدأ • ولكن اياك ان تحسرج عن
الموضوع ، الموضوع باختصار هو : كيف كانت المرأة في
عصرها الذهبي أيام اليونان والرومان •
روستوفتسيف : هل اتكلم بصراحة ؟
صانع الاقنعة : هل انت خائف من شئ ؟
روستوفتسيف : نعم • مسز روستوفتسيف لا تزال
على تويد الحياة • سستنتقطع عن زيارة قبرى اذا تكلمت
بصراحة •

صانع الاقنعة : هذا سبب ادعى للصراحة ، لانها لو
كانت معك لجلت حياتك ••• اقصد موتك • ججيما •
روستوفتسيف : هذا كان عصر طين وقطران وليس
عصرا ذهبيا • من ناحية الاخلاق ؟ عكس ما يتصور تماما
المسيو صباح • تصوروا ان اكثر ملوك اليونان العظماء كانوا
بقرون • الملك منيلاوس مثلا استضاف الامير الجميل
باريس ابن ملك طروادة فهرب بزوجه هيلانة • لكن هناك
شيئا يحيرنا نحن المؤرخين : وهو كيف يقيم اليونان حرب
طروادة المهولة لمدة عشر سنين ليثاروا لشرف منيلاوس
ويموت كل هؤلاء الابطال ، ثم يعود منيلاوس بهيلانة
ويجلس معها على عرش اسبرطه ويعيش معها في تبات ونبات
وكأن شيئا لم يحدث • طبعاً هي بكت له وقالت : لا
تؤخذنى انها الربة افروديت ضحكت على او على الاصح -
بلغتهم - رمت على شباكا من حديد فجردتني من الارادة
والفضيلة وجعلتنى امشى وراء باريس كالنائم نوما مغناطيسيا

ثم اخوه الملك الغازى اجا ممنون • عاد الى وطنه بعد عشر سنوات من الجهاد ليجد زوجته فى احضان ايجست • وقبل أن يفتح فمه ذبحته كالثور فى حمام القصر الملكى بالضبط كما فعلت ملكتكم شجرة الدر بزوجه الثانى عز الدين ايبك • والملك شيبوس أبو الاثينيين كلهم ماتت زوجته وتزوج من فيدرا فأخذت تطارد ابنه هيبوليت حتى دفعته الى الانتحار ثم انتحرت ، وكانت دائما تردد : انها افروديت • انها الربة افروديت ••• القت على شيباكا من حديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى امشى وراء هيبوليت كالنائم نوما مغناطيسيا ••• وغبرهن • وغيرهن • كل النساء الزانيات فى اليونان القديمة كن يمسن خيانتهم فى ربة الحب افروديت • تماما كما نقول نحن : الشيطان وزنى • الوحيد الذى نجا من هذا المصير هو اوليس زوج بنيلوب • حتى البطل هكتور • لو أن زوجته اندروماك كان عندها ذرة من الفضيلة والشجاعة لانتحرت قبل ان تسبى مع ولدها بعد موته وتنام تحت سقف قاتل زوجها •

أبو الفتوح الصباح : الم نقل لكم ان كل الفسوق جاءنا

من الغرب ؟

أما طيوزادة : بالغزو الفكرى • من ايام العصر الحجرى

الحديث ••• الى اليونان ••• الى الرومان ••• الى الحروب:

الصليبية ••• الى الفرنسيين ••• لغايه الفرنسيين • أما

الانجليز والامريكان والالمان ، كل الانجلو سكسون فنحن

غزوناهم فكربيا وهم لهذا ارقى شعوب الغرب بسبب
تحالفهم مع الاتراك .

ابو الفتوح الصباح : بالضبط . كل الفساد جاءنا من
أوروبا . بتحريير المرأة .

روستوفتسيف : المسيو ابو الفتوح الصباح يقول ان
كل الفساد جاءكم من أوروبا . انا لا اعرف شيئا عن
أوروبا بعد سقوط روما في ٤٧٦ ميلادية . ولكن المشكلة
التي يبحثها علماء أوروبا الآن هي : هل انطونيوس هو
الذى اغوى كليوباترا او كليوباترا هي التي اغوت انطونيوس
ابو الفتوح الصباح : ماذا يهم ؟ الاثنان خواجهات .

روستوفتسيف : لا يا مسيو صباح . كليوباترا
عندكم جريجية أما عندنا فهي طبعاً مصريه ، هي وعائلتها
اليس عندكم مثل يقول : من عاشر القوم اربعين يوم ؟
البطالسة عاشروكم ٣٠٠ سنة وصاروا منكم .٠٠٠ مثلاً
بطليموس الثانى المعروف بفيلاذفوس (٢٨٥ - ٢٤٧ ق م)
اراد ان يثبت لكم انه مثل القراعنة تماماً فتزوج اخته
ارسينوى .٠٠٠ حتى كليوباترا تزوجت عن اخيها بطليموس
١٣ وكان عمره ٨ سنين .٠٠٠ عندنا ٣٠٠ سنة حاجة عظيمة .
تحفى لظهور واختفاء عشر امبراطوريات ، أما عندكم فحساب
الزمن بالقرون لا بالسنين .٠٠٠ يوم الحكومة بسنة لكن
سنة الشعب بيوم .٠٠٠ انا شخصياً افضل طريقتكم لانى
مؤرخ ، والتاريخ يقوى الذاكرة .٠٠٠ كآهن انوبيس مثلاً
يعرف كل اسماء الشوارع فى منفيس وطيبة ويسكن فى مصر

الجديدة لمجرد أن شوارعها اسمها طوتموزبس وسيزوس. تريس
وأمازيس ، وما عليه إلا أن يغمض عينه ساعة كل يوم لينتخيل
أن الشقة المجاورة له تسكنها نفتيس بنت رادوبيس وزوجة
ردامانتيس ٠٠٠ والمسيو أبو الفتوح الصباح يسكن بجوار
جنينة الحيوانات لأن الشوارع هناك اسمها : ابن رضوان
الطبيب ، عقبه بن نافع ، قره بن شريك ، ابن بختيشوع
الطبيب ٠٠٠ ويتوهم أنه يعيش فعلا في الفسطاط ، ولولا
هذا لما وجد الشجاعة ليواجه القرن العشرين .

صانع الإقنعة : ما علاقة هذا الكلام بالمرأة الجرجية ؟
روستوقنسيميف : اتصد أن تحرير المرأة كان عندكم
لا عند اليونان ٠٠٠ اليونان اهتموا بشيء واحد وهو
تحرير الرجل ٠٠٠ أما المرأة اليونانية ، من الملكة الى
بائعة الجندوقلى في ميناء بيريه فكانت حالتها اسوأ مما
يكون ٠٠٠ تصوروا مثلا ان سيدة عظيمة مثل بنيلوب
زوجة البطل اوديسيوس ملك ايثاكا يقول لها ابنها
تليماك وهو لا يزال دون سن البلوغ : « هيا اذهبي الى
حجرتك واشتغلي بأعمالك : اشتغلي بالنول والمغزل ، وأمرى
وصيفاتك ان يلفنتن لعمهن ، فالكلام من شأن الرجال ، كل
الرجال ، ولكنه من شأنى أنا قبل الجميع : فالامر أمرى في
هذه الدار » ٠٠٠ هكذا قال هوميروس نحو ١٠٠٠ ق م .
(« الاوديسا » ١/٣٥٦ - ٣٦٠) ٠٠٠ وبدلا من أن تصفح
بنيلوب ولدها تليماك أو تقول : اخرجس يا ولد ، نراهما
بالفعل تكف عن الكلام وبلتفت للنول والمغزل - والنول

والمغزل ايام زمان كانا كمشغل البرودرى والابوييسون فى القرن التاسع عشر وكلعبة البريدج والهويست والكاناستا فى القرن العشرين ٠٠٠ اظن ان هواية نساكنم المفضلة هى المشكحة فى شارع قصر النيل وسليمان باشا قبل الظهر وبعد المغرب ٠٠ على العموم كان مكان المرأة فى اليونان القديمة هو البيت ، وكان لا يسمح لها ان تختلط بالرجال الا فى اسبرطة ٠٠٠ اما الشبان والبنات فكانوا لا يرى بعضهم البعض الآخر الا فى الاعياد والجنازات والمواكب بوجه عام ، ودانما وسط جماعات وليس على انفراد ٠٠٠ وفى شعر ثيوفريط (ايديل ٢) بصف لكيفية وقوع البنت فى غرام دافنيس من بعيد لبعيد فى موكب عيد ارتميس ٠٠٠ وفى اوربيديس ان عدم ملازمة المرأة بيتها يعرضها للقليل والقال (« نساء طروادة » ٦٤٢) والمشرع ليكورجوس قال (فى ليوقراط ٤٠) ان نساء اثينا كن لا يجترئن ، عى فتح ابواب بيوتهن وقد كان حدثا رواه المشرع ان نساء اثينا اجترأن عى فتح ابوابهن بعد هزيمة خيرونا وعودة الجيش المسحوق لبسالن عن الزوج والاب وآلشقيق . هل مات او عاد سالما ، وقد استهجن فوكورجوس هذه الفعلة الشنيعة لانه « ظن انها لا تلتيق بهن ولا بمدينتهن » ٠٠٠ والمبدأ العام فى اليونان القديمة كان ان المرأة لا تخرج من بيتها حتى تبلغ السن التى تجعل من نيراها يسأل : ام من هذه ؟ لا زوجة من هذه ؟ ولا تخرج الا بصحبة مرافق أو شايبرون ذكر من اهل بيتها يكون موضع ثقة ، وكانت فى العادة تتبعها جاريتها ٠٠٠

طبعا جاريتها هذه كانت اس البلاء لان الادب اليونانى القديم يصور الجارية دائما على انها الرسول بين العشي والعشيقة نعلم هذا من ستوبايوس (هيبود) وفى قوانين صولون فى القرن ٦ ق م . قانون ينص على ان المرأة حين تخرج للجنازات او لاحتفالات الاعداد « يجوز لها ان تأخذ معها ما لا يتجاوز ثلث قطع من الثياب وما لا تزيد قيمته عن اوبول واحد من الطعام والشراب » (والاوبول كان يساوى بنسبا ونصف البنس اى اقل من قرش صاغ بالسعر الرسمى ولكن ربما كانت قيمته ريالاً بالقسبوة الشرائية للحقيقة) كذلك نص القانون على ان المرأة لا يجوز لها ان تخرج ليلا الا فى عربة يضبئها مصباح وقد ظلت هذه اللوائح معمولا بها الى زمن بلوتارك فى القرن الاول فاذا اراد قومندان بوليس الآداب عنكم ان يأخذ بمبدأ التوقاية خير من العلاج فانى انصحه بقراءة قوانين صولون وليكورجوس واستصدار قانون يحتم اضاءة كشافات داخل كل سيارة تمر ليلا فى شارع الهرم او فى طريق العادى . . . كل هذا يدل على وجود أزمة ثقة شديدة بين رجال اليونان القديمة ونسائها وغير معروف اذا كانت القطع الثلاث الواردة فى قوانين صولون معناها ثلاثة غيارات أم مجرد ثلاث قطع من الثياب مثل الكومبينيزون والفسقان والشال او الملاء اللف ، وهذا التفسير الاخير هو الأرجح لان تحديد المأكولات والمشروبات بما لا يتجاوز ريالا يتضمن ان نساء اليونان كان غير مسموح لهن بحمل الفلوس

في شنط اليد أو في غير شنط اليد ، والا فالتشريع يكون
عبثا لان الفلوس يمكن أن تشتري تموين شهر أو سنة . . .
ويبدو ان الفكرة العامة كانت ارغام النساء تحت وطأة
الجوع ان يعدن للنوم في بيوتهن بدلا من النوم في القرافة
أو في الحدائق العامة .

أبو الفتح الصباح (يتحسس) : ايها الرجعيون !
اهتفوا معي : تحيا ذكرى صولون !
أغا عليوزادة والخشداش ايواظ : تحيا ذكرى
صولون !

مجاهد بن الشماخ (في امتعاض) : منا هذه
السذاجة ؟ هذه مؤامرة صليبية . . . تذكروا الروم !
تذكروا بيزنطة ! هؤلاء هم أعداؤنا التقليديون . قولوا
معي : فليسقط صولون وأهل صولون .

صانع الاقنعة : النظام . . . النظام .
روستوفتسييف : ماذا فعلت ؟ هل اخطأت ؟ أنا أرد
على سؤالكم : هل كانت المرأة اليونانية متحررة أم لا .
صانع الاقنعة : مجاهد بن الشماخ غاضب لانك
صورت المرأة اليونانية في صورة جميله : خاضعة تماما
لسلطان الرجل .

روستوفتسييف : نعم . . . هي كانت كذلك وكانت
النساء تاكل على مائدة مستقلة بعيدا عن الرجال في
الحفلات والمآدب . . . اعتقد ان هذا التقليد لا يزال
موجودا بينكم في الريف المصرى . . . وقد بلغنى ان كل غلام

من الفلاحين عندكم ينهر امه ويقول لها اف كما كان نليماك
ينهر بنيلوب ٠٠٠ ومع ذلك اذا اردتم ان اقلب لكم
الحقائق ، فهذا سهل ٠٠٠ نحن العلماء الخواجات مدريون
على ذلك ٠٠٠ مثلا عندما تكون هناك أزمة سياسية بيننا
وبين المصريين نصدر « ابحاثا » علمية نثبت فيها ان اصل
الحضارة كان في سومر وليس في مصر ٠٠٠ واذا اختلفنا مع
العراق اثبتنا انه كان في مصر وليس في سومر ، واذا
اختلفنا مع كل العرب نقلنا اصل الحضارة الى الصين او
الهند بحسب الحالة .

صانع الافنعة : لا ٠٠٠ لا ٠٠٠ نحن نريد ان
نستتير . استمر يا خواجه .

روستوفتسيف : على كل حال : استعباد المرأة في
اليونان القديمة يثبت وجهة نظركم ٠٠ بثبت ان المرأة
الاوروبية منذ فجر التاريخ كانت منحرفة ويجب ان تعامل
بالعصا ٠٠٠ مثلا أوربيديس في مسرحية « اندروماك »
البيت ٩٢٥ ينصح الرجال العقلاء ان يمنعوا نساءهم عن
استقبال النساء الاخريات لانهن « معلمات لكل الشرور » ٠٠
ومن كوميديا ارسطوفانيس « اعياد ثيسامافوريا »
(البيت ٤١٤) نعرف ان رجال اليونان كانوا يسيجون
نساءهم في حرملك يسمونه بلعتهم « جونايكونيتيس » ،
أى « حجرة النساء » ويغلقون الحرملك بترباس محكم من
الخارج ، ولا يكتفون بهذا بل يضعون كلب حراسة مولوسى
على عتبة الدار ٠٠٠ لماذا كانوا لا ياتمنون نساءهم ؟ لانهن

ذن نساء ملعبات ٠٠٠ ناقصات عقل ودين ٠٠٠ بالنضبط
كما تقولون أنتم عن نسائكم إذا أردتم اعتقالهن أو تحديد
اقامتتهن ٠٠٠ ومنذ ٨٠٠ ق م ٠ كان الشاعر هسيود يقول
للإيونان في « الأعمال والأيام » (البيت ٤٧-) أن باندورا ،
وهي حواء الإيونان ، كانت مصدر كل الشرور والأوبئة ،
ويُندد في البيت ٣٧٣ بالنساء لانهن يمشين بطريقة تحريك
الآليتين بالتبادل ، أو ما تسمونه هنا طريقة (هز ياوز)
لكي يُلخبطن عقول الرجال . (راجعوا أيضا الأبيات ٣١٩
و ٧٠١ وما يليه) ٠٠٠ حتى بريكليس العظيم رئيس جمهورية
أثينا في القرن الخامس ق م ٠ كان يقول : « خير النساء
أقلهن ذكرا بالخير والشر في محضر الرجال » ٠٠٠ ورد هذا
القول المأثور في ثيوسيديد ٤٥/٢ ٠٠٠ وفي « الثسمافوريا »
لارسطوفانيس أيضا (البيت ٧٩٧) ان واجب النساء:
المتزوجات هو ان يتوارين . - البيت حتى لا يراهن المارة
ت الشارع من النوافذ ٠٠٠ ولكن ارسطوفانيس لم يصل
طبعا الى حد تحريم النظر من وراء الشيش ٠٠٠ وقد حل
أجدادكم في العصر التركي المملوكي هذه المشكلة باختراع
(المشربية) فأذا أردتم احياء هذا التقليد فعندنا في
امريكا نوع من الزجاج من وقف وراءه رأى دون ان يرى ٠٠
طبعا كانت هناك استثناءات قليلة لهذا الضغط والكرب
على النساء ٠٠٠ فهيرودوت يذكر نحو ٥٠٠ ق م انه في
اقليم ليديا ، حيث أقسام يونان الاناضول ، لم يعترض
الناس على ان تحصل البنات على ثيابهن بالدعارة (٢٩٣)

٠٠ ولا تزال هناك رواسب من هذا التقليد باقية الى اليوم في
الراة العصرية ، ولكن الراة العصرية اكثر درحة من جدتها
الليدية ، لانها تعلمت كيف تأخذ ولا تعطى وجعلت من
السفلة فنا جميلا ٠٠٠ فبعض بنسات اليوم بمجرد غمزة
او ابتسامة او على اكثر تقدير مجرد قبله يستردن الرجل
في شنطة يد او زوج من الاحذية وربما في فستان او ساعة
حريمى وهن في الطريق الى السينما ٠٠٠ كذلك كانت
فساتين نساء اسبرطة مشقوقة في الجوانب من تحت حتى
الفخذين ، وهى موضة متحررة كانت تثير استهجان كل
اليونان .

والحقيقة ان الحضارة اليونانية كانت العصر الذهبى
لا لسبب البيت ولكن للغانية او « الهتيرا » كما كانوا
يسمونها ، ولشئ آخر أخل ان اسميه ولكنكم تعرفونه جيدا
من شعر ابى سواس ٠٠٠ فأفلاطون في « القوانين » يقول :
« لدينا غوان لمتعتنا ومحظيات لخدمتنا الشخصية اليومية
وزوجات ليلدن اطفالنا ويديرن منازلنا بأمانه » ٠٠٠ وفي
قانون ورد ذكره في ديموستين الخطيب (« فى الارستقراطية »
٥٥) نجد ان النص يشير الى الام والزوجة والاخت والبنات
والمحظية فى عبارة واحدة ٠٠٠ وفى هوميروس نجد ان
امتلاك محظية او اكثر كان أمرا اشيع ما يكون فالمحظية اذن
كان لها وضع رسمى ٠٠٠ اما الزوجة المسلينه فقد
بصت القوانين والعرف والفلسفة واللاهوت عند اليونان
ان مهمتها كانت محصورة فى شئ واحد وهو : « انجاب

ذرية شرعية « كما في لوسيان (« تيمون » ١٧) وكليمنت الاسكندري (« ستروماته » ٤٢١/٢) وبلوتارك (« الموازنة بين ليكوجوس ونوما » ٤) وزينوفون (« المنكرات » ٣/٢/٢) وديموستين (« فورميو » ٣٠) وغيرهم ٠٠٠ وفي كتاب ارسطو عن « الدولة » (١٢٦٠/٨/٢) ان هومبروس ذكر ان الرجل كان يشترى زوجته من والديها بما كان يدفعه من « هدينا » أى هدايا يقدمها للعروس ، وكانت غالبا من الماشية ٠٠٠ ولكننا نعلم ايضا من هوميروس في « الاوديسا » (٢٧٧/١ و ١٩٦/٢) وفي « الاليزادة » (٣٩٥/٦ و ١٤٤/٩ وغير ذلك) ان الزوج بعد ان يتسلم زوجته كانت الزوجة تتلقى من نويها دوطة لزواجها ونعلم من « الاوديسا » ١٣٢/٢ انه في حالة الانفصال يسترد ابي المرأة الدوطة ، ومن « الاوديسا » ٥٩٥/٤ ان المرأة تفقد حقها في الدوطة في حالة الخيانة الزوجية ٠٠

صانع الاقنعة : ولماذا كل هذه الارقام ؟ تكلم كما يتكلم الناس .

روستوفتسيف : مستحيل ٠٠٠ هكذا نتكلم في محاضراتنا ٠٠٠ والاستناذ الذى لا يذكر مراجعه يفصل فورا معنا للتلفيق ، والا جلس اى استناذ فى اقرب بار وبنى حضارة بأكملها على الورق من رغاوى البيرة .

صانع الاقنعة : استمر وعنن كما تشاء .

روستوفتسيف : على العموم حكاية « الذرية الشرعية » هذه كانت الركن الوحيد للزوجية فى اليونان القديمة .

وافلاطون هو الوحيد الذى ادخل عليها بعض التحسينات
فى « القوانين » (٧٢١/٤ و ٧٧٤/٦) . حيث قال ان الزواج
هو أداء واجب عام : فواجب المواطن ان يترك وراءه ذرية
تعبد الالهة وتخدم الدولة ، وكان افلاطون يطالب بتطبيق
عقوبات على العزاب كالغرامة وفقدان الحقوق المدنية . وفى
بلوتارك (« ليكوجوس » ١٥) ان عزاب اسبرطة كانوا
يفقدون بعض حقوقهم المدنية كالاشتراك فى المباريات ،
وكانوا يجمعون فى السوق ويؤمرون بأن يغنوا اغانى يسخرون
فيها من انفسهم يعنى كل واحد ذبهم يترنم بقوله
مثلا : انا حمار كبير وهو اسلوب فى النقد الذاتى
اجمل بكثير من اسلوب الروس فى عهد ستالين ومن اسلوب
الانجليز فى الكنيسة الميثوديست حيث يقف المذنب او
المذنبه وهو يرتعش وسط جمهور مكفهر الوجوه من المصلين
ويعترف بأعلى صوته : أنا قضيت الليلة الماضية فى بيت
مسز فلان ، او أنا سرقت حجاتين وأوزة من حقل جارى
فلان ، فليسامحنى الله ولكن قوم اسبرطه كانوا قوما
غريبى الاطوار ارجو الا يتشبه بهم أحد فقد كانوا يعيشون
كمال الاجسام وصحة الابدان فى سبيل الحرب والرياضة
لدرجة ان بلوتارك روى ان الزوج الاسبرطى كان من المألوف
ان يعير زوجته مؤقتا لرجل آخر اقوى منه واصح بدنا
لينجب له اطفالا اصحاء اقوياء وسيمين ، ويشبه بلوتارك
الزواج الاسبرطى بتهجين الخيول بهدف تجسين النسل . . .
وقد احيا الالمان هذه العادة الاسبرطية الغريبة أيام
النازية ، وكان جزءا من واجبات الشباب الهتلرى والشابات

الهنترليات ان يقدموا للرايخ الثالث نماذج معتمدة من الجنس
الآرى • قامة فارعة مثل قامة جوييلز وقوام ممشوق
مثل قوام جورنج وشعر أصفر بلوند مثل شعر هتلر ••
وعيون زرقاء وقسوة جرمانية مثل إيرما جرايس التي كانت
تصنع الاباجورات من جلد الاسرى •

صانع الاقنعة: دعنا من موضوع النسل ••• هذه
مشكلة اخرى سنبحثها عند مناقشة حكاية تحديد
النسل ••• تكلم عن المرأة فقط •

روستوفتسييف : أنا فرغت تقريبا ••• لم يبق
الا ان اقول انه نظرا لعدم اختلاط الجنسين فقد كان زواج
اليونان يتم عن طريق الخاطبة ، ولكن وظيفة الخاطبة
كثيرا ما اختلقت بوظيفة اخرى سيئة السمعة ••• ولم
نسمع احتجاجا على هذا النظام الا في افلاطون (« القوانين »
٧٧١/٦) الذى طالب باختلاط الخطيبين قبل الزواج حتى
ينجو الزوجان من الخداع ••• من هذا ترون ان الزوجة
في اليونان القديمة كانت حياتها هامشية ومحاطة بجدران
كثيفة ، ولكن هذا لم يمنع ان تكون الخيانة الزوجية
موضوعا شائعا في أدب اليونان شيوعه في حياة اليونان ••
ولكن اليونان القديمة كانت في الوقت نفسه فردوسا للغواني
او « الهتيرات » اللواتى مجدهن أدب اليونان شعرا ونثرا
في كل العصور وبقي لنا من أسمائهن أكثر مما بقى من أسماء
الزوجات ••• وكان عصرهن الذهبى في القرن الرابع ق م •
فاشتهرت منهن فرينيا التى كانت موديلاً للمثال براكساتيليس

في تماثيله لافروديت ، واشتهرت الغانية لايبس عشيقة المفكر
أرستيب وجلوكا ملهمة الكاتب الكوميدي مناندر وليونتيون
عشيقة الفيلسوف ابيقور . وكان لاكثر كبار رجال الدولة
غوان شهيرات مثل اسبازيا صاحبة بريكليس وثارجيليا
عشيقة ملك الفرس اثناء الحروب الفارسية ، وتاييس
عشيقة الاسكندر الاكبر ، وكانت غانية اثينية جميلة تنارل
عنها الاسكندر لقائده بطليموس الذي تزوجها واجلسها معه
على عرش مصر واسس بها أسرة البطالسة ، وكانت لها
صديقة غانية اسمها لاميا حكمت اثينا مع عشيقها الجنرال
ديمتريوس بوليوركتيس واقام لها الاثينيون معبدا باسم
افروديت لاميا . والاصل في هؤلاء الغواني انهن كن مجرد
نساء عموميات لهن تسعيرة في الدولة الاثينية (١ اوبول في
ميناء بيرييه وفي حي الفخارين) ، اما اللوكس نكن يصلن
الى ٦ اوبول ، وكانت الدولة الاثينية تشرف بدقة على هذه
العمليات بسبب الضرائب وانتهت بتاميم الهتيرات في ميناء
بيرييه وفي حي الفخارين . وكان جزء لا بأس به من ايرادات
الدولة يحصل بهذه الطريقة الغريبة . ولكي ثبت تاريخيا
ان ايرادات الضرائب من القطاع الخاص (اللوكس) كان اكبر
من ايراداتها من القطاع العام . المهم ان البنات الهتيرات
ظهرت بينهن طبقة ذكية مثقفة نحو ٣٠٠ ق م . ايسام
الفيلسوف ابيقور ، فكن ينتظمن في فصول لدراسة الفلسفة
ويتجادلن في المساهية والمقولات والفهوسوم والماصدق
والاسطقسات ويقال ان ليونتيون صاحبة ابيقور تركست

رسالة لا بأس بها في الفلسفة • نوع من الجيشيا
اليونانية لتسليية العقل والجسد في وقت واحد • أما
الطامحات منهن فوصلن الى ما وصلت اليه مدام دي ريكامبييه
ومدام دي مانتنون ومدام دي مونتسبان ومدام دي باري
ومدام دي بومبادور أيام البوربون في فرنسا قبل الثورة
الفرنسية • أما البروليتاريات الساكيج منهن فكان أقصى
منى الواحدة ان تصبح محظية لرجل واحد وتترقى الى
رتبه « بالاكا » أى « محظية » بدلا من كونها مرققا عاما ،
وكان ذلك يتم مقابل ٢٠ الى ٤٠ قطعه من الفضة ، وكان
الرجل يستطيع ان يبيع محظيته في اى وقت يشاء • نوع
من الرقيق الابيض • هذه كانت احلام الحرية بالنسبة
لطبقة الهتيرا الغلبانة : أقصى منى الواحدة ان تصبح أمة
أو جارية ! لقد كان عصرا ذهبيا حقا ، ولكن للرجال
فقط •

على الزبيق الجوكى الشهير بالزنبرك : انظروا اليه •
انظروا اليه ••• انظروا اليهم • ابو الفتوح الصباح
ومجاهد بن الشماع وابو سنة ذهب لولى وعز الدين أيدمز
الحيوى • انهم يتلمظون سيدى الرئيس : امنعهم من التلمظ •
مجاهد بن الشماع : لا تصدق كلمة واحدة مما يقول •
هذه دعاية مبشرين •
أبو سنة ذهب لولى : هذا فوق طاقة البشر • لم
اعد احتمال ••• انا اطالب بتدريس اليونانيات في كل
كليات الجامعة •

صانع الافئدة : ممنوع التلمظ .

الماركسية السخيمة : اذا كان اليونان على هذه الدرجة من الانحطاط ، فلماذا يهوسوننا اذن بالادب اليونانى والفكر اليونانى والحرية اليونانية والحضارة اليونانية . ولماذا يقولون ان اليونان اخترعوا الحب افلاطونى . انما لما كنت بنت ١٧ احببت ابن الجيران من وراء شيشى البلكونة وضبطنى ابنى اسوى له شعرى فى الشباك لارد تحيته فضربنى علقه سخنة ، وسمعت اخى الكبير يدافع عنى ويقول لابى انه مجرد حب افلاطونى فسكت عنى . ولما عرفت ان افلاطون يونانى احببت اليونان بسبب افلاطون خيبت املى يا شيخ .

روستوفنتسييف : لا تعولى على حكاية الحب افلاطونى هذه يا سيدتى ، لانه خاص بالرجال فقط . اصل الحثاية ان افلاطون كتب كتابا اسمه « الندوة » فى صورة محاورات بين جماعة من صفوة المثقفين فى اثينا تجرى فى بيت الشاعر اجاثون ، وهو شاعر سيىء السمعة جدا فى الكلام عن الرجال ، وعلى لسان باوسانياس يقول افلاطون انه يحب التفرقه بين الحب المقدس القائم على الانسجام الروحى والتجاذب الفكرى ، وبين الحب المبتذل القائم على ارضاء الجسد . وعنده ان الحب المقدس لا يمكن ان يقوم الا بين الرجل والرجل . اما الحب بين الرجل والمرأة فمن اختصاص الربة افروديت بانديموس ، اى ربة الحب المهينة على كل الناس . واما افروديت اورانيا ، او ربة الحب

السماوية فلا شأن لها بالحب الذى يقوم بين الرجل والمرأة . فحب الرجل للنساء خارج من حيث المبدأ عن نطاق الحب الافلاطونى الذى لا يعرف نشوته الا « الاورانيون » ومعناها حرفيا « السماويون » أى أصحاب الحب السماوى او العشق الالهى . ومنذ ذلك التاريخ أصبح من يقول عن رجل: « هذا اورانى » يسبه ويتهمه بأشياء فظيعة لا يستطيع ان اتفوه بها . وقد كانت الاورانية عند اليونان شائعة كالاكل والشرب ، والغريب انها كانت عندهم لا تتعارض مع البطولة . ففى « الياذة » هوميروس نجد الاورانية بين البطل اخيل والبطل باتروكل وبين البطل باتروكل والبطل بلاتون . وفى ارسطونانيس ، على عهدة افلاطون فى « الندوة » ، ان الاورانيين هم اقدر الناس على الاشتغال بالسياسة . والمشرع الشهير صولون كان ينظر للاورانية نظرة طبقية محض فأجازها فى قوانينه بين المواطنين الاحرار وحررها بين الاحرار والعبيد وليؤكد هذا المعنى حرم تداول الاموال فى كل علاقة اورانية ، والفكرة العامة عند اليونان ، ولا سيما فى اسبرطه ، ان الحب بين الرجال كان امارة الارستقراطية او الدم الدورى الازرق ، والدوريون هم سكان بلاد الاغريق قبل نزول اليونان بها . اما الحب المألوف فهو للدهماء وفى مجلس العموم البريطانى الآن تجمع اورانى لاهياء قوانين صولون ، مما يدل على عصريتها المتناهية . ولكن هذا كله لم يمنح ابطال اليونان وملوكهم وامراءهم ومواطنيهم ان يكونوا عاديين فى علاقاتهم مع النبلاء

فيتزوجوا وينسلوا ويدافعوا عن نساءهم كما فعل منيلاوس
في حرب طروادة ، ولم يمنع أخيل مثلا من ان يغضب ويجازف
بمستقبل حرب طروادة لانهم حرموه من الاسيرة بريسييس
اليونانى مجد جمال الرجل بتمائيل هرميز وابولو بلفدير
أكثر مما مجد جمال المرأة بتمائيل افروديت أو ديميتير .
انسى حكاية الحب الافلاطونى يا سيدتى فهى خطأ شائع .
حضارة اليونان كانت حضارة الرجل لا حضارة المرأة . والفرق
بين اليونان والعرب هو ان اليونان مجدوا الاورانية بينما
العرب نددوا بالنواسية .

وهنا شهق ابو سنة ذهب لولى شهقة عظيمة وأخذ
يتمتم : « هذا فوق مستوى البشر . هذا لا يطاق » .
فالتفتت اليه كل الانظار مستطلعة . اما صانع الاقنعة فأخذ
يهز راسه مستنكرا وهو يلعن بصوت خفيض . هذا ما جرته
علينا الرجعية وقرهات ابو الفتوح الصباح عن العصر الذهبى
والمرأة الذهبية . ان نستمع الى كل هذا الحلام الفارغ .
بلا حياء . بلا حياء . وباسم العلم . نسلم التقت الى
الخواجة روستوفتسيف وقال :

- انت يا خواجة لم تذكر كلمة واحدة عن حالة
المرأة فى روما القديمة .

ناجاب الخواجة روستوفتسيف بقوله :

- لا تكن عجولا . كل شئ مرهون باوانه . موعدا
فى الجلسة القادمة .

ختامها مسك

قال صانع الاقتعة : يا اخواني • جاءتني عريضة
وقع عليها عشرون عضوا من اعضاء هذا المؤتمر ، يسمون
انفسهم « رابطة حماية الالوف من اخطار الايف والوف » •
التابعة « للوكالة المركزية لحماية الملايين من اخطار لنين
وستالين وكل بلشفي لعين » • وفي هذه العريضة ان الخواجة
روستوفتسيف دسيمة شيوعيه على عقائدنا السنية • وانا
استقدر هذه الاتهامات الجرافية • ولكنى برغم هذا ،
منعا للشغب ، شحنت هذا الخواجة في صندوق الى الجبانة
لتى جاء منها فى مكان ما بامريكا الشمالية قبل ان يقدم
تقريره عن حالة النساء فى روما القديمة • وبناء عليه فعليكم
الآن ان تدعوا احد رجلين : اما جيبون الانجليزى واما
مومسون الالماني ليصف لنا حالة المرأة فى روما الذهبية
وما تيسر من العصور الوسطى •
مجاهد بن الشماخ : لم نسمع بهذا ولا ذاك • لماذا
لا ندعو المسعودى أو المقريزى أو ابن عبد الحكم أو ابن تغرى
بردى أو ابن اياس ؟

صانع الاقنعة : مؤلاء سندعوم في مناسبات اخرى ،
ولا سيما حين نتكلم عن الطولونية والاشييدية والفاطمية .
والايوبية . أنا اقترح أن ندعو ادوارد جيبون رغم أنه
مات منذ مائتي سنة لان جيبون في الواقع واحد من قبيلتنا
نحن الاديباء . هل من معترض ؟

ولم يعترض معترض ، ولكن لم يبد عنى أحد
حماس . فدخل جيبون قاعة الجلسة بمجرد ان قال صانع
الاقنعة : « أدخل يا جيبون » .

جيبون : انتم تريدون تقريراً عن نساء الرومان ؟
صانع الاقنعة : من اجل هذا دعوناك . وسنعطيك
مقابل هذا كالعادة تذكرة طائرة مجانية الى الاقصر لتزور
الكرنك وواى الملوك . واذا انسجمننا من كلامك فرجناك على
السد العالى وابو سمبل ، اما اذا انشكعنا جدا دعوناك
للاقامة اسبوعا كاملا في لوكاندة عمر الخيام على حساب
الخواجة طرايان ووزارة الثقافة .

.. **جيبون :** اولا يجب ان تعرفوا ان الرومان كانوا على
عكس اليونان على خط مستقيم .

صانع الاقنعة : ماذا تقصد بالضبط ؟
جيبون : اولا الرومان كانوا قوما اسوياء جنسيا ،
وكانوا يحتقرون الشنوذ او الاورانية ويسمونها « العبادة
الجرجية » . ثانياً الرومان كانوا كأهل الغابة ، يعيشون
بلا فرامل ، وينظرون للجنس نظرهم الى الاكل والشرب .
وكانوا يعيشون في جزع من الجوع الجنسي ويسوون بسبب

الرجال والنساء في الفوضى الجنسية • كانت الحياة الجنسية عندهم تبدأ في سن ١٢ بالنسبة للبنات و ١٤ بالنسبة للولاد • ومن أيام رومولوس مؤسس روما ، حتى ظهور النظام الملكي ، كانوا يعيشون في شىء شبيه بفرديوس القلط والكلاب • ومع ذلك فقد عرفوا نظام الزواج حتى في عصر ألفطرة • وكانت اقدم صور الزواج عندهم نراء الزوجة من ابيها • ولكن كان في امكان اى رجل ان يصبح الزوج الشرعى لاي بنت دون موافقة ابيها اذا استطاع ابقاءها في بيته سنة كاملة ، بشرط الا تبينت البنت خارج بيته اكثر من ثلاث ليال طوال السنة • فاذا حدث هذا أمكن للانسان ان يسترد ابنته ويبيعها لزوج آخر •

المعلم العاشر : ولماذا ثلاث ليال ؟

جيبون : لا تسلى فأنسا لا اعرف • ولكن لا تظن ان الرومان كانوا قوما بلهاء لقد قضاوا كل حضارتهم لا عمال لهم الا شن الحروب ومد الطرق ووضع القوانين • وكانت بعض قوانينهم تبدو غريبة ولكنها في الحقيقة وجيهة • مثلا كان من اسباب الطلاق عندهم ان تقوم المرأة بتزييت اقفال المنزل • والاغلب ان الأزواج الرومان كانوا يربطون بين التشحيم والخيانة الزوجية على كل حال الرومان كانوا ينظرون الى النسل البشرى نظرهم الى العجول والبقر والجديان والماعز • فكان الاب « يملك » كل من ينجبهم من بنين وبنات ويتصرف فيهم كما يشاء : بالقتل او البيع

او المقايضة او الاستثمار . نحن فى انجلترا نحب ان نقايض على زوجاتنا ، ولكن الجديد عند الرومان انهم كانوا يقايضون على اولادهم . تصوروا ان كلمة رومانتيكية مثل كلمة « الفاميليا » يعنى « الاسرة » كان معناها باللاتينية « الرقيق » او « الممتلكات » او شئ قريب من معنى « ما ملكت ايمانكم » وهذا تجاوز سلطة الاب عند اليونان وفى بابل واشور ومصر القديمة . ولكن كان على الاب قبل ان يتصرف فى بنيه ان يستشير مجلس الاسرة وهو يضم الاقارب والاصدقاء . على ان الاب الرومانى فقد تدريجيا سلطته فى قتل اولاده وانكسرت سلطته على بناته فى الحدود المالية ، فزواج البنات كان مصدر دخل للاب . وبقي للزوج الحق فى قتل زوجته اذا ضبطها متلبسة بالخيانة ، ثم سلب منه هذا الحق فى روما الامبراطورية ، اى منذ يوليوس قيصر فصاعدا ، غالبا لان يوليوس العظيم كان يخشى ان تبقى روما بلا نساء .

وفى الاسواح الاثنى عشر (٤٥٧ - ٤٤٩ ق م) وهى اقدم قوانين مدونة معروفة فى روما ، كان القانون يحرم الزواج غير المتكافى ، اى الزواج بين ابناء الاشراف وبنات الشعب . وكان من اشد الناس ضراوة فى تطبيق هذا القانون حاكم متعجرف اسمه ابيوس كلوديوس ثم سخر منه القدر فجعله يعشق بنتا من بنات الشعب اسمها فرجينا وكانت فرجينا بنت ضابط مخطوبة لتربيون من تربيونات الشعب ، وهو مثل قولكم عضو مجلس الامة .

وغضب الاب لشرفه فطعن بنته واجهز عليها في الفورم ، وهو سوق روما . وادى هذا الى قيام فتنة في الجيش فتراجع الاشراف والغوا القانون واجازوا الزواج المختلط . وبتقدم المدنية الرومانية فقدت المرأة قيمتها كعامله او دابة من دواب الحمل في الحقول ، واصبحت ست بيت ، أى أصبحت عبئا على زوجها . وبهذا تغيرت عادة شراء الزوجات ، واصبحت الزوجة هي التي تدفع المهر الزوج وتشارك في الانفاق على البيت . وهذا اعطى الاب الحق في ان يحتفظ بسلطته على بنته بعد الزواج ، كما ان استقلال المرأة الاقتصادي دعم مركزها ووسع حرياتنا الى درجة غير لائقة بمكارم الاخلاق ، فشاع التساهل في الحياة الزوجية . وعلى كل حال فان الزوج الروماني لم يكن فيه من صفات عطيل شيء كثير ، بل كان رجلا عمليا يقبل الامر الواقع . وكان من الممكن للطرفين فض الزواج اذا استغفل الخلاف . وكان يمكن للمرأة ان تطلب الطلاق عن طريق القاضي لاسباب متعددة منها غياب الزوج مدة طويلة في الحرب ، وقد انتشر الطلاق فعلا أثناء الحرب البونية الثانية ، وفي النهاية كان يكفي للطلاق مجرد طلب الزوج للخدمة العسكرية ! وفي روما الامبراطورية استغنى الرومان عن القاضي في الاحوال الشخصية فأصبح يكفي للطلاق مجرد اعلان شفوي من أحد الطرفين . وكان من الممكن ترتيب زواج الامور بطريقة أخرى : فكان مألوفاً أن يتنازل الزوج عن زوجته لصديق من اصدقائه أو من اصدقائها ، مثلا كانوا

الاصغر تنازل عن زوجته النبيلة مارسيا لصديقه هورتنسيوس لان هورتنسيوس اراد أن ينجب منها أطفالا .
لاشك ان الرومان كانوا يرون هذا افضل من ان تنجب مارسيا لهورتنسيوس اطفالا وهي لا تزال في عصمة كاتو .
كذلك اوكتافيوس قيصر الشهير باوغسطوس - عدو انطونيوس وكليوباترا - انتقلت اليه زوجته الاخيرة لينيا بالتنازل من زوجها كلوديوس ، وفي روما الجمهورية - اى قبل القياصرة - كان هذا التنازل لا يتم الا برضا الزوجة لمنع بيع الزوجات أو نقل امتيازهن أو اعطاء التوكيلات بحقوق الارتفاق والاستغلال ولكن روما الامبراطورية بدأت تتساهل في هذا الشرط الانساني ، فاصبح التنازل عن الزوجة كالتنازل عن عقار أو موبيليا أو بهيمة .

عميد الصعاليك : يعنى مثلا شخص مزنوق في قرشين

هل كان يمكن أن يتنازل عن زوجته ؟

جيبون : لا . هذا يكون بيعا ، والبيع ظل في روما الامبراطورية امتيازا لصاحب المال وهو الاب ، وانما في اغلب الحالات كان التنازل يتم لاسبغ الصفة القانونية على زنا الزوجة بطريقة ودية بدلا من قتلها بحسب ما يبيع انتانون . وفي العصور المتأخرة حين انتشرت الفروسية . كان من قواعدها اعتراف الفارس بعشيق زوجته . ولم يكن هذا مظهرا للكرم الرومانى ولكن اثباتا لان لزوجته معجيز. مناطق غريب طبعا . فنحن اليوم لا نسمى مثل هذا الرجل

فارسا بل نسميه باسم آخر اقل رومانتيكية • فانظروا
كيف تقدمت آداب المحدثين على آداب القدماء وعلى العموم
فانه لم يعرف عن الرومان ابدا انهم كانوا يقتتلون على
النساء ، والمرأة عندهم لم تكن تدخل في قاموس النخوة •
على الفلوس • نعم • اما على النساء فلا •

مجاهد بن الشماخ : الم نقل لكم ان هذه الشعوب
الاوربية منحطة بالفطرة ؟

الفارس افروس : على العموم من يقرأ « مجنون ليلي »
لاحد شوقي يجد ان العرب في العصر الذهبي عرفت هذه
الفروسية المهيبة ، ولو في تقاليد العذريين وبنى عامر •
قيس مثلا كان يغار من ورد زوج ليلي ويضايقه بالاسئلة
الكثيرة عما كان يجرى بينه وبين زوجته بالليل ، مثل
قوله :

بحقك هل ضمت اليك ليلي

قبيل الصبح او قبلت فاهها ؟

وهل رقت عليك قرون ليلي

رفيف الاتحوانة في نساها ؟

لدرجة ان ورد ذات مرة اجابه معاتبا في رفق :

الزوج لا يسأل هل قبل اهله وكم ؟

نعم لقد قبلتها من رأسها الى القدم

يعنى الزوج يعتذر للعاشق عن قيامه بواجباته

الشرعية • بل ويؤكد له ان ليلي لا تزاى صناغ سليمة

كيوم ان تسلمها :

كانت اطافتى بها كالوثى بالصنم •
صانع الإقنعة : فلنعد الى الرومان •
جيبون : هذه عادة سيئة عندكم ... كل شئ ،
تنسبونه الى العرب أو المصريين • حتى العادات السيئة ،
اتركوا شيئاً للشعوب الأخرى • العرب لم تبتدع هذه
الفروسية المهيبة • هذا كان من ابتكار الرومان : ان العاشق
أو العشيقة كان يفار من الزوج • ويقال ان الشاعر أوفيد
هو الذى ابتكر هذه التقليعة فى ديوانه « الغرايات »
وفى ديوانه « فن الحب » وعنه انسرت فى أوروبا أكثر من
الف سنة ، اى طوال العصور الوسطى ، وبالأخص بعد ان
امتلات أوروبا بالفرسان من قوط وفسدال وهورن وبرابسة
نورديين بشعر أشقر وعيون زرقاء وقامة فارعة مثل الملك
آرثر وفرسان المائدة المستديرة : تريستان ، وبارسيفال ،
وسيجفريد ، ولانسيلوت وجالهاد ، ممن كان يحلم بهم
هتلر فى نوبات الصرع الآرى التى كانت تفتابه • وكانت
للشاعر أوفيد نظرية معقولة فى العشق نطبقها نحن فى الزواج
وهو انه لا بهجة فى الغرام اذا جاء سهلاً يسيراً ، اى ان
الغرام لا يكون غراماً الا اذا كان غزوا لقلب امرأة لا يستطيع
كل انسان ان يخالها • وكلما شق الغزو زاحت اللذة عند
سقوط القلعة وزادت نشوة الانتصار • والمرأة التى لا حارس
لها تشبه القلعة المفتوحة او قلعة بغير فرسان • وبأنطبع
فى هذه التقليعة تكون امنة قلعة هى المرأة المتزوجة التى
يحرسها زوج غيور شديد اليقظة مثل الوولف الانسانى

أو الـوولف الـالزاسى ، واولفـيد يقول انه يجب صاحبـه كورينا بسبب مناعتها وانه يغار كلما تصورها تقبل زوجها ويحذرها من حب زوجها ، بل ويصور فراش الزوجية على انه فراش « الخيانة » تماها مثل صاحبكم قيس بن الملوح ، مجنون ليلي . والحب عند اوفيد له استراتيجيات مثل استراتيجيات الحرب . فالملك الملثم لحصار المرأة ليس البيت ولكن الحفلات والمسرح والملاهي العامة . واستراتيجيات بلا تكتيك لا تؤدي الى شيء : فلا بد ان من مرسل أو وسيط، وأفضل مرسل أو وسيط هو الوصيفة أو الخادمة . ثم ان الشجاعة نصف المعركة . ولكن يجب ان يفهم العاشق ان الهجوم الخاطف خطأ جسيم . فمد اليد أو خطف قبلة يفسد كل الخطط . المهم هو الصبر والتخلى بأداب السلوك التي يسمونها « الكورتوازي » أى سلوك البلاط ، باعتبار ان فيفوس ربة الحب ملكة والعاشق فارس يخدم فى بلاطها! والمظهر الطبيعى لهذه الفروسية هو خدمة الحبوبة واظهار الاهتمام بها فى كل مناسبة ، ولا سيما فى المرض ، والرمز الطبيعى لهذا الاهتمام هو الهدايا : من علب البونبون الى باقات الورد ، ولا بأس من خاتم رخيص أو حلق فالصو أو شنطة يد من وقت لآخر . اما فصوص السوليتير فهى تفسد كل علاقة بين العشاق لانها تثير جشم المرأة وتجعلها تنظر الى فارسها على انه منجم ماس أو بلاتين وليس مجرد معجب ولهان . طبعا ديوان « فن

الحب « عمل سكاندال في روما القديمة ، لا لانه كان خارجا على الاداب ولكن لانه كان وصفا صادقا للمجتمع الروماني فالناس في العادة لا تحب من يضع امامها مرآة لتري دعامتها الحقيقية . وعلى العموم فقد نفى اوفيد فجأة الى آخر اطراف الامبراطورية في تونى على البحر الاسود سنة ٨ ميلادية ، نفاه الامبراطور أوغسطس قيصر دون ابداء اسباب لا بسبب شعره ولكن بسبب علاقته بحفيدة الامبراطور التي نفيت أيضا في نفس السنة .

وانتم تقولون بحق ان الناس على دين ملوئهم .
متاريخ اباطرة الرومان زفت في قطران . خذوا مثلا يوليوس قيصر الذى فتح الدنيا اذا صدقنا الازجال التي كان يؤلفها جنوده عنه وعن علاقته بالسيد بثينيا كما جاء في « تاريخ القياصرة الاثنى عشر » للمؤرخ الروماني سويتونيوس فان يوليوس قيصر كان نواسيا من طبقة كومودور . وبعده اوكتافوس اى أوغسطس قيصر ، كان فظيعا جنسيا ، وقد تزوج ثلاث مرات : الاولى من كلوديا التي هجرها ليتزوج من عشيقته سكريبونيا ، وكانت امرأة متزوجنة فطلقها من زوجها وهي حامل قبل الوضع بأيام ، ثم طلقها بتهمة الانحلال الخلقى ، ليتزوج من ليفيا التي دخلت عليه بطفلتين من زوجها الاول . وحين دب الملل في قلبه خشيت ليفيا ان يتخلص منها فكانت تأتيه بالعسذارى الصغيرات جدا من بنات الفقراء تماما مثل صاحبكم شهريار في « الف ليلة وليلة » وكان العذر الرسمي الذى

أعلنه أطباء البلاط ان هذا يجدد الخصوبة في الامبراطور ولكن خصوبة الامبراطور لم تتجدد وانتهى امره بالتبني ولن احدثكم عن بنات زوجات الامبراطور وبناتهن مثل جوليا وبناتها جوليا فقد طحن مع الرجال وساءت سمعتهن لدرجه ان أوغسطس تيصّر نفاهن وجردهن من الحقوق الملكية • ولكن أوغسطس حين بلغ الستين تحول الى رسول من رسل الاخلاق فسن مجموعة من القوانين لتشجيع الزواج وحماية الاسرة ، فحرم توريث العزاب الذين في سن الزواج وأعطى الاولوية للتعينين في وظائف الدولة لذوي الذرية الكبيرة وضيق في الميراث على المتزوجين بد نسل وقيد الطلاق غاشترط لوقوعه وجود سبعة شهود • وجعل الدولة تتقاسم مع الزوج المخدوع مؤخر صدق زوجته المطلقة للزنا ، وفرض العقوبات على الأزواج الذين يخونون زوجاتهم مع محظيات • ولكن بعد موت أوغسطس تيصّر لم يلتفت احد الى قوانينه لان أباطرة الرومان الذين أعقبوه كانوا تشكيلة غريبة من الشواذ والمصايين بالحب الافلاطوني ، مثل الامبراطور فيتليوس الذي قتله جنود فسبازيان لسوء سلوكه ، والامبراطور السوري الاصل هليوجابولوس الذي كان يظهر في الحفلات الرسمية في ملابس النساء ويلبس ياقة مرصعة بالجواهر واساور مرصعة بالدر وقد زجج حاجبيه بالقلم الاسود وصبح خديه بالبودرة والروج وكان يجلس في قصره الى النول وينسج كالنساء ، وقد وزع سسلطاته الامبراطورية على عشاقه العديدين وكان احدهم يسمى

نفسه زوج الامبراطورة ، وقد قتل الجنود الامبراطور وهو في سن الثامنة عشرة • حتى هادريان المحبوب تشبه باليونان في شيئين : اطلاق اللحية والافلاطونية او الاورانية • ولكن اعرب ماني الرومان أن اباطرتهم العقلاء كانوا شواذا جنسيا بينما كان اباطرتهم المجانين طبيعيين نسبيا : كاليجولا مثلا الذى عين حصانه قنصلا ، ودومتيان ونيرون وكومودوس طلقوا زوجاتهم بسبب الملل او سوء السلوك وزهدوا في النساء لان شهوتهم المفضلة كانت شهوة السلطة وشهوة تعذيب البشر •

واقظع من اباطرة روما كانت امبراطوراتها ، واشهرهن مسالينا ، الزوجة الثالثة للامبراطور كلوديوس هذه كانت مجنونة بالجنس وحب السلطة معا ، وكانت معرفتها امتحانا عسيرا للرجال لانها كانت ترسل الى الجلاذ عشاقها الخائبين : وفي مرة اعدمت رجلا لانها طمعت في بستانه واعدمت رجلا لانه أبى أن يسايرها الى الفراش • وفي مرة اخرى كانت تعدم اشراف روما بالجملة لتنفرد بالسلطان فلما استتب لها الامر بدأت « ترمم » ففى مرة اعجبت باحد الممثلين فأمرت باحضاره الى جناحها الخاص ، ثم تفزت القفزة الكبرى التى خلدت اسمها في تاريخ الامبراطورية فخصصت لنفسها حجرة في بيت من بيوت الدعارة وعلقت يافطة باسمها الحركى او اسمها في المهنة وهو ليسيسكا ، بحسب الاصول المتبعة في روما القديمة • وكانت روما كلها تتحدث بذلك وزوجها الامبراطور كلوديوس لا يحرك ساكنا ولكنه اعدمها أخيرا حين حاولت ان تخلعه لتجلس على عرشه عشيقها الشاب جايوس سيليوس • ثم تزوج كلوديوس من

أجربينا اخت الامبراطور كاليجولا التي كانت بينها وبين
أخيها علاقة محرمة ثم نفاهما . فلما أصبحت أجربينا سيدة
روما أخذت تقبل من حولها من نساء البلاط الجميلات أو
تنفيهن غيرة من جمالهن . ونجحت في أن تحمل كلوديوس على
أن يحرم ابنه من وراثة العرش لحساب نيرون وهو ابنها
من زوج سابق ، ولما لم يمت كلوديوس في سن معقولة دست
له السم ، ثم حاولت أن تسيطر على ابنها نيرون كما
سيطرت على زوجها كلوديوس فاعتالها نيرون . ولما
بوابيا سابينا ، زوجة نيرون الثانية نجحت فيما فشلت
فيه أجربينا ، وكانت بوابيا من أصل شعبي ومتزوجة من
فائد الحرس البريتوري فطلقها نيرون وزوجها من صديقه
أوتو بقصد أن يعيش الثلاثة في تبات ونبات . ولما
أوتو رفض هذا التبات والنبات فأنعده نيرون من بوابيا
وجعله حاكما على المنطقة التي نسميها الآن البرتغال .
ثم تزوج نيرون من بوابيا وجعلها امبراطورة روما فوضعت في
أنفه خطاما وحين أنجبت له بوابيا بنتا رقاهما الى لقب
« أوغسطا » أي « المعظمة » ولما ماتت أعلن أنها أصبحت الهه
وبنى لها معبدا تقدم فيه القرابين والصلوات للربة بوابيا
أوغسطا ! وكانت آخر حلقة كبيرة في هذه السلسلة الذهبية من
الملكات الفاجرات الامبراطورة ثيودورا (٥٢٧ - ٥٤٨) ميلادية
زوجة جوستينيان العظيم أبو القوانين « المدونة » الخطيرة التي
ترجمها الى العربية فقيه عندكم اسمه عبد العزيز فهمي

(باشا) • وقد كانت تيودورا فى الاصل بغيا شهيرة فى القسطنطينية ، وكانت وهى دون العاشرة تظهر على المسرح مع اختيها كوميتو وانستازيا وتخلع ثيابها قطعة قطعة للاغراء على طريقة الكباريهات المعروفة باسم « استريب تيز » ثم احترفت البغاء فى القسطنطينية على اخص مستوى وعلى اعلى مستوى : من الجندى الى الجنرال ومن الجزمى الى شهيدى التجار ثم عشقها والى بنتابوليس واصطحبها معه الى مقر عمله فى افريقيا • ولكنه لم يلبث ان طردها فتصلكت فى الاسكندرية ورات اياما من الضنك الفظيع ، وطافت تحترف البغاء فى كل مدن الشرق القديم • اما كيف اصبحت تيودورا امبراطورة بيزنطة ، فيقال انها فى سنى ضنكها رات رؤيا او حلما بانها ستكون زوجة ملك عظيم • عجيبة هذه حكاية الرؤى التى تراها النساء دائما فتغير مجرى الحياة • نحن فى القرن الثامن عشر عصر العقل نرفض تصديق هذه الاشياء ، اما انتم فى القرن العشرين فعندكم علم اسمه السيكولوجيا يبحث فى هذه الظواهر • على العموم النتيجة كانت ان تيودورا عادت من بافالونيا الى القسطنطينية متاهبة للعظمة الموعودة وفى القسطنطينية مثلت فنون المرأة المحترمة ، او « تابت » كما تقولون فى لغتكم ، واشتغلت بغزل الصوف لتكسب قوتها • وعشقها جوستينيان بجنون ، وكان يحكم بيزنطة فعليا باسمه ، ولما عارضت الامبراطورة فى زواجه من تيودورا انتظر حتى ماتت والغى القانون الذى يحرم زواج المثلات من

الإشراف وتزوج من تيودورا وتوجها وجعل رجال الدولة
يقسمون لها يمين الولاء فجعلها بذلك شريكته في الحكم
وكانت متفطرة قاسية جشعة ينتظر صدور الدولة في
حجرة انتظارها ساعات طويلة ثم يؤذن لهم في الدخول
فقبلوا قدميها . وكانت تخرج فيخرج في موكبها ٤٠٠٠٠ تابع
وعلى رأسهم وزير الداخلية (الوالي البرينورى) ووزير
الخزانة ، أما جناحها الخاص فكان مليئا بالخصيان
والوصيفات الداعرات ونشرت جواسيسها في كل مكان ، وكانت
تسجن من يعارضها في اقباء مظلمة كدهاليز اللابرات تحت
قصرها وتأمر ان يعذبوا في حضرتها ، فيموت منهم من يموت
أما من ينجو فكان يفقد بعض أعضائه ليكون عبدة لمن
يعتبر ، وهى تقاليد نافعة في فن الحكم حافظت عليها بيزنطة
أكثر من ١٤٠٠ سنة حتى حكم السلطان عبد الحميد . وكانت
تيودورا متدينة ألى حدالهوس فبنت ديرا في الضفة
الشرقية من البوسفور جمعت فيه ٥٠٠ من بغايا
التطسطنطينية وحبستهن مدى الحياة ، ومنهن من يئسن من
الحياة فالقن أنفسهن في مياه البوسفور . وقد كتب زوجها
الامبراطور جوستنيان انه استوحى كل قوانينه من زوجته
المسلمة من السماء .

هذا هو العصر الذهبى للمرأة الرومانية : بدأ بشراء
الزوجات وانتهى بتاليه البغايا والتثليث الجنسى باسم
الفروسية . أما اذا أردتم تاريخ المرأة الذهبية طوال الف

سنة من العصور الوسطى الاوروبية ، فعندكم رجل يدعى
ستييفن رنسيهان ، استاذ باكسفورد وخصائى عصور
مظلمة ، يستطيع ان يحدثكم عن غرام تريستان وايزولدا
وباولو وفرنشييسكا وابيلار وهلويزا وبتراارك ولورا ودانتى
وبياتريس (عمرها ٩ سنوات) وعن احزمة العفة ذات الاطفال
التي كان السير جودفرى وفرسان الحروب الصليبية يغلقونها
حول خصور زوجاتهم قبل الرحيل الى الاراضى المقدسة ، وعمما
كان البابا اسكندر السادس يفعله مع اخته وبقية السيرة
العاطرة لآل بورجيا ومديتشى وتشنشى ونيسكونتى . وربما
وجدتم نوادر ذهبية كثيرة عن بنات افروديت الذهبية في
الكتاب الذهبى عن « تاريخ البابوات » للمؤرخ فرايهر .

صانع الاقنعة : شىء مقرف . شىء مغرف . لا نريد
مزيدا . انتم مقرفون يا حضرات الخبراء الاجانب .

جينون : الحقيقة دائما مقرفة يا حضرات الادباء،
المصريين ، نحن فى أوروبا نعرف ذلك ، ولهذا نواجهها
بشجاعة فنثبت اقدامنا على الارض حتى حين نحلق فى
السماء السابعة . ولهذا اعترفنا بحقوق المرأة وبحرياتهما
وساويناهما بالرجل من يوم ان ساوينا الرجل بالرجل فى
الثورة المجنونة التى تسبونها الثورة الفرنسية . اما انتم
فلكثره غرامكم بالشعر تعيشون بين السحب وترسعون
هاماتكم بالنجوم وتلتحفون بالمجرة لتنهأوا بالنوم ، وتحلمون
بعصر ذهبى لا وجود له وتتوهمون ان الاجداد كلهم
فضائل والاحفاد كلهم رذائل ، نحن ايضا كنا نفكر مثلكم

حتى اكتشفنا ان العالم يتقدم ولا ينحط ، وعرفنا ان
التقدمية وهى النظر الى الامام خير من الرجعية وهى النظر
الى الوراء . وكان ينقصنا الاثبات حتى جاء ولد لنا
اسمه داروين واثبت لنا ان الانسان كان منحطا ثم
ارتقى ولم يكن راقيا ثم انحط ، وخلصنا من فكرة
الخطيئة الاولى التى لازمتنا منذ ان نظم الشاعر فرجيل
رؤيا العصر الذهبى قبيل عام واحد ميلادية حتى ١٨٥٩ ،
عام ظهور كتاب « اصل الانواع » .

صانع الاقنعة : الآن وقد استنار المؤتمر بتقارير
الخبراء عن المرأة الذهبية فى العصر الذهبى عند العرب وفى
مصر القديمة وفى بابل وآشور وفى اليونان القديمة وفى روما
القديمة ، لم يبق الا ان نأخذ الاصوات على هذا السؤال:
هل المرأة اليوم احط منها فى العصر الذهبى او فى مستواها او
ارتقى منها ؟

ابن سيركوف : سيدي الرئيس . قيل ان نأخذ
الاصوات بلغنى ان الدكتور خطة ارسل لسيادتكم تقريرا
برأيه فى هذا الموضوع . وانا اطالب بقراءته على الاعضاء .
صانع الاقنعة : هذا صحيح ولكنى استبعدت هذا
التقرير لان الدكتور خطة ليس اديبا ولا فنانا ، بل
استاذ فى الاقتصاد .

ابن ماركوف : نريد التقرير .

على الزيبق الجوكى : يجب ان تتفاعل الفنون والآداب
مع الاقتصاد .

الايدولوجى الفهلوى : حتمية الحل الاشتراكى تحتم

• هذا •

صانع الاقنعة : لا بأس • لا بأس •

ثم اخرج صانع الاقنعة من ملف امامه ورقة تلاعسا

• على الحاضرين •

قالت الورقة :

« سيدى رئيس مؤتمر الادباء والفنانين :

« تحياتى ••• انتم رجال الادب والفن تعشقون

الكلمات ، ولاسيما الكلمات السحرية ، مثل حقوق الانسان

وتحرير المرأة لانكم مثل قبائل الاشانتي والشولوك والدنكا

لا تزالون تعيشون فى عصر السحر ، حيث الكلمة مساوية

للفعل • انتم تثبتون كل شىء بالاشعار ، مثلا اذا اردتم

تعليم البنات قلتم « الام مدرسة اذا اعددتها اعددت شعبا

طيب الاعراق » • واذا اردتم ان تجعلوا المرأة مجرد غانيه

فى الحريم قلتم : « كتب الحرب والقتال علينا وعلى الغانيات

جر الذبول » • واذا اردتم اغلاق مدارس البنات وحصر

نشاط المرأة فى الطبخ ومسح البلاط وشغل الابرة ، قلتم مع

المعرى :

علموهن الغزل والوردن

وخلوا كتابه وقسراة

نصلاة الفتاة بالحمد والاخلا

ص تغنى عن يونيس وبراة

واذا اردتم تجنيد النساء فى الخدمة العسكرية او

ادخالهن الحرس الوطني تذكرتم ان اليونان كانت فيها
نساء محاربات اسمهن الامازونات . واذا اردتم ان تثبتوا
ان المرأة يمكن ان تحكم مثل الرجل قلتم : انظروا الى
حتشبسوت او الملكة اليزابيث او الامبراطورة كاترين .
واذا اردتم ان تثبتوا ان المرأة لا تقل تدبنا عن الرجل
تذكرتم رابعة العدوية وسانت تيريزا ، وهكذا . اما نحن
رجال التنمية ، ففسمع كل هذا الكلام ونضحك من
سذاجة الادباء . نحن لا نقول ان قاسم أمين حرر المرأة
المصرية ، ولكننا ننظر الى اربعة رسومات بيانية نطلبها
من اللواء جمال عسكر مدير ادارة التعبئة : (١) رسم بياني
بنسبة العمالة بين النساء الى العمالة بين الرجال مع بيان
بأنواع الاعمال التي يزاولها الرجال والنساء . (٢) رسم
بياني بنسبة اجور النساء الى اجور الرجال . (٣) رسم
بياني بنسبة توزيع الملكية بين الرجال والنساء . (٤) رسم
بياني بنسبة التعليم بين الرجال والنساء مع بيان نوع
التعليم ودرجته . واذا اردنا ان نعرف حالة المرأة في عهد
رمسيس الثاني او البطالسة او المماليك طالبنا اولاً باعداد
هذه الكشوفات قبل ان نقرر اذا كان العصر ذهبياً أم فضياً
أم نحاسياً أم حديدياً . وبعد دراسة هذه الجداول
نحكم ان كانت المرأة المصرية متحررة فعلاً أم نصف متحررة
أم متحررة في الظاهر فقط أم ميثوس من تحريرها ، واذا بقي
لدينا وقت بعد هذا نظرنا في هذه الاعتبارات المعنوية
التي يتحدثون عنها كالثقافة او الفلسفة الاجتماعية

والحضارية والفكرية والروحية في تحديد وضع الانثى بالنسبة للذكر سواء في الاسرة أو في المجتمع .

« نحن نعرف مثلا من خريطة العالم الاقتصادية ان المرأة الروسية والمرأة التشيكوسلوفاكية اكثر تحررا واكثر مساواة بالرجل وبالتالي اقل ذهبية من المرأة الانجليزية او الفرنسية ، لسبب بسيط وهو ان نسبة عمالة النساء الى الرجال في الاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا هي ١ : ٢ اي امراة تعمل مقابل كل رجلين يعملان . وقد كانت نسبة عمالة النساء في روسيا القيصرية ، قبل ثورة ١٩١٧ ، في المتوسط ١ : ١٠ ، وهذه الثورة الحقيقية في انتاجية المرأة الروسية هي التي ادت الى تدعيم حريتها ومساواتها بالرجل ، وليس بيانات تشايكوفسكي ، ومايكوفسكي وتوجان بأرانوفسكي . والمرأة الانجليزية لم تتحرر نسبيا الا بعد الحرب العالمية الاولى . فعندما كتب الحرب والقتال على الذكور الانجليز في الفلاندرز وغيرها لم تجلس المرأة الانجليزية على عجزها او تكتفى بجسر الزيول ، بل لبست الاوفرول ودخلت المصنع وساقت الكاميون او التاكسي او الجرار ووزعت البريد وخرمت التذاكر . كانت نسبة عمالة النساء في انجلترا قبل ١٩١٤ نحو ١٥٪ من مجموع القوة العاملة ، اي ١ : ٧ تقريبا . وكانت اول ثمرة لازدياد العمالة بين النساء حصول المرأة الانجليزية على حقوقها السياسية جزئيا في ١٩١٨ ، فنالت حق الانحباب لمن يبلغ سن الثلاثين ، وفي ١٩٢٨ ، طبعا بسبب ازدياد عمالة

النساء ، لمن بلغن سن ٢١ . والآن ، ما هو الموقف في بريطانيا ؟ ارتفعت النسبة الى ١ : ٣ ، ففي المملكة المتحدة ٢٠ مليون وظيفة تشغل النساء منها نحو ٥ ملايين ويشغل الرجال ١٥ مليوناً . وهذا الاستقلال الاقتصادي النسبي هو الدعامة الأساسية للمساواة بين الجنسين . ولكنها طبعا مساواة غير كاملة ، رغم أن بريطانيا تحكمها امرأة لسبب بسيط ، وهو أن متوسط أجر العامل في بريطانيا ١٤ جك في الاسبوع بينما متوسط دخل العاملة ٧ جك في الاسبوع (لا تسألوني لماذا يسمون الجنيه الاسترليني جك وليس جس) وليس معنى هذا أن المهندس أو الطبيب أو المدرس أو العامل البريطاني بالضرورة يتقاضى ضعف ما تتقاضاه الهندسة أو الطبيبه أو المدرسة أو العاملة البريطانية إذا قامت بنفس العمل ، ولكن في حساب المتوسطات نخلط دخل الزبال ودخل المدير العام ونقسم على ٢ . وسبب انخفاض دخل النساء العاملات هو أن أكثرهن بشغلن الوظائف الدنيا كاعمال السكرتارية والبيع في المحلات التجارية وخدمة في المطاعم والبارات والبيوت والفنادق والمحلات العامة . نفس المشكلة قائمة بالنسبة للمرأة الأمريكية . ففي الولايات المتحدة نحو ٧٠ مليون وظيفة منها نحو ١٤ مليوناً تشغلها النساء و ٥٦ مليوناً يشغلها الرجال ، أي بنسبة ١ : ٤ ، وهو أقل من بريطانيا ومجموع أجور النساء في أمريكا يتراوح بين ٥٠٪ و ٦٠٪ من مجموع أجور الرجال . وقد حصلت المرأة الأمريكية على حق الانتخاب في

١٩٢٠ ومع ذلك فالمرأة الامريكية تتركب الرجل الامريكى لان نساء امريكا يملكن بحسب آخر احصاء ٨٠٪ من قيمة الاموال المستثمرة فى اوراق مالية . او بعبارة اخرى الذكور فى امريكا برولينتاريا تشتغل لحساب الاناث فى امريكا . وهذا يريكم ضرورة الرجوع الى الرسم البيانى بتوزيع الملكية فى المجتمع كلما اردتم ان تتكلموا عن تحرير المرأة . اما المرأة الفرنسيه فلم تحصل على حق الانتخاب الا فى ١٩٤٦ وهى متخلفة فى المساواة بالرجل رغم الاسطورة الشائعة فى العالم عن تحرر المرأة الفرنسية ، وهى اسطورة خلقها عشاق باريس ولم يدركوا انها للاستهلاك الخارجى . ولم يدركوا ان باريس صممت لتكون عاصمة اوربا ، ونسبة العاملات الى العاملين فى فرنسا هى ١ : ٦ . ولكن هذه القياسات عاجبا غير دقيقة لان فرنسا لا تزال فى صميمها بلدا زراعيا ، والاحصاءات فى الريف عادة غير دقيقة لان تعاون المرأة فى الانتاج الزراعى والحيوانى وفى الصناعات المنزلية الخاصة بالاسرة امر يصعب حصره . اما فى مصر فليست هناك احصاءات واضحة لحالة العمالة بين النساء والرجال بسبب غلبة الةقتصاد الريفى . وانما المعروف ان مجموع القوة العاملة (بين سن ١٥ وسن ٦٠) يتراوح بين ٦ و ٧ ملايين . ويظن ان نسبة عمالة النساء الى الرجال عندنا ١ : ٦ فلا بد ان تكون نسبة اجور النساء الى اجور الرجال ونسبه توزيع الملكية نسبة مزريه جدا بحيث تفسر انعدام المساواة بين النساء والرجال رغم ما يقوله الميثاق

في هذا الموضوع ، بدليل عجز المرأة المصريه حتى الآن
عن اصلاح قوانين الاحوال الشخصية مثلا . والمرأة المصرية
الى الآن تعتبر ان بطنها هي مصدر رزقها الاساسى .
فوسيلتها الاولى في ضمان قوتها اليومى هي تكبير زوجها
بعشرة اطفال حتى يعجز عن التخلي عنها ، او لتضمن لنفسها
اعانة بطالة او اعانة شيخوخة في حالة الرفق بالطلاق .
وهذا ما يجعل كل خاطنا لتحديد النسل هباء في هباء
ما لم تعدل قوانين الاحوال الشخصية بحيث تمنح فصل
الزوجات فصلا تعسفا أسوة بعمال المصانع وتطبق عليهن
قوانين التأمينات الاجتماعية . ويوم ان نعترف ببطن المرأة
كأداة من ادوات الانتاج الحيوانى ونخضعها لقوانين التأمينات
الاجتماعية يمكننا أن نواجه مشكلة الانفجار السكانى مواجهة
علمية لا مواجهة شعرية ، ويمكن ان نحقق ما جاء من بنود عن
المرأة في « ميثاق العمل الوطنى » .

وتفضلوا يا سيدى الرئيس بقبول وافر احترامى .
(توقيع)

(د . عبد الحافظ حنطة)

ابن سيركوف : تحيا الاقتصاد ولوجيا .
ابن ماركوف : تحيا عمالة المرأة . يحيا الاقتصاد
محرك التاريخ .
الماركسية السخسخة : تسقط الاغلال الذهبية .
يسقط القفص الذهبى .
خولة المايستورية : لا . لا . هذه شيوعية . أنا

شخصيا احب الاغلال الذهبية لانى احب الخلاخيل الذهبية
والاسورة الذهبية والخواتم الذهبية والحلقات الذهبية
والعقود الذهبية ، وكل الاشياء المستديرة مادامت ذهبية .

شجرة اللولى : طبعا هذه شيوعية ، ونحن اعداء
الشيوعية ، مادام الرجال يحبون الاقفاص الذهبية فلا بد
من اقفاص ذهبية ولكن المهم ان تكون قضبانها سميكة عيار
٢٤ وواسعة بحيث يخرج العصفور ويدخل كما يشاء . المهم
ان يرى الرجل المرأة داخل القفص الذهبى ، او على الاقل
ان يتوهم انه يراها . وما دامت القضبان واسعة فليس
يهم بتاتا ان اكون داخل القفص او خارج القفص ، ومن
احاديث جدتى عرفت ان المشكلة الحقيقية هى تزيين فكرة
القفص الذهبى فى عين الرجل حتى ينفق عليه كل ماله ويجمد
ثروته فى قضبانه الذهبية : عندئذ يصبح الرجل ، لا المرأة
هو اسير القفص كما تتفرج النمرة فى جئينة الحيوانات على
الاطفال من وراء القضبان . انا شخصيا اكتشفت ان اللولى
اغلى من الذهب ، وقفصى كله من اللولى يا حللولى .

صانع الاقنعة : كفى نقاشا . لقد استمعنا لاهم
الآراء . والآن السؤال هو ، للمرة الثانية ، هل المرأة اليوم
أحط منها فى العصر الذهبى أو فى مستواها أو ارقى منها !
العلم العاشر : انا معترض على طرح القضية على
هذا الوجه .

صانع الاقنعة : على اى وجه تحب ان تطرحها ؟
على الزبيق الجوكى : لقد اثبت كل الخبراء بالاساتيد

التاريخية والحسابية والثقافية والاقتصادية ان العصر
الذهبي خرافة رجعية ابتكرها تحالف الاقطاع ورأس المال
مع الاستعمار لابقاء الشعوب المتخلفة في تخلفها • فليكن
السؤال : هل هناك عصر ذهبي أو لا •

صانع الاقنعة : موافق • السؤال المطروح امامكم هو •

هل هناك عصر ذهبي أو لا ؟

الموافقون يقولون : احم ! احم ! والمعارضون يقولون

مثل الكشافة : يعيش !

وهنا دوت القاعة بهتاف يصم الاذان يقول : يعيش !

يعيش • يعيش • ولم يسمع آلا خمس أو ست أحماة • وكان

الهتاف قاطعا فلم يجروا احد ان يطالب بعد الاحماة •

صانع الاقنعة : نفهم من هذا ان ادباء مصر في عهد

الثورة يرفضون فكرة العصر الذهبي ويعدون خرافة رجعية
ننتقل الى القضية الثانية وهي : ان نساء الامس كن افضل

من نساء اليوم •

الايديولوجي الفهلوي : ماذا تقصد بأفضل ؟

صانع الاقنعة : اقصد محصنات اكثر • يعنى بالبلدى

اكثر عفة •

مجاهد بن السماخ : على وجه اليقين • على وجه

اليقين •

المعلم العاشر : بعد كل ما قيل عن بلاج جلجل وحبال

الفرزدق وتنكرات ابن ابي ربيعة وأورانيه اليونان وماخور

مسالينا واستريب تيز الامبراطورة ثيودورا ؟

• **صانع الاقتعة** : خذوا الاصوات بنفس الطريقة .
الموافقون يقولون : احم ! • والمعارضون يقولون : يعيش :
وللمرة الثانية ارتفع دوى هائل يقول : يعيش !
يعيش ! يعيش • وغرقت الاحمات في عدير اليعيشيات .
ولكن الذى لفت النظر ان اصوات الاحمات كانت دائما
يتخللها رنين اصوات النساء من اديبات مصر ، فقد كن
اشد من الرجال حماسا للعصر الذهبى •

• **صانع الاقتعة** : اذن فادباء مصر فى عهد الثورة يرون
ان نساء الامس لم يكن اكثر عفة من نساء اليوم •
على الزيبق الجوكى : هذا غير كاف • انا اطلب
التصويت على القضية الآتية : ان نساء الامس كن « اقل »
عفة من نساء اليوم •

• **صانع الاقتعة** : ربما كان هذا صحيحا ، ولكن لا داعى
للاستفزاز يا على الزيبق • يكفى اننا انقذنا سمعة المرأة
المصرية فى القرن العشرين • ثم لا تنس ان نساء الامس هن
جداتنا كما ان نساء اليوم هن زوجاتنا • ونقص عفة
جداتنا يصيبنا نحن فى مقتل • ويكفى اننا بشهادة المؤرخين
وعلماء الانثروبولوجيا والاثنولوجيا اكتشفنا حقيقة خطيرة
وهى انه فى جميع حضارات العالم القديم ، كانت المرأة المصرية
اولا ثم المرأة العربية ثانيا تتمتع بحقوق الانسان (الحرية •
المساواة • الاخاء) وبحقوق الحيوان (المأكل • الملبس • المسكن
الفراش) اكثر من المرأة فى بابل واشور واليونان القديمة
وروما • وليكن هذا اجمل ختام لاجمل جلسات جلستموها

امتزجت فيها المتعة بالفائدة • واسمحوا لى ايها السادة
ان ارفع الجلسة وافض هذه الدورة الاولى لهذا المؤتمر
الاول لادباء مصر وفنانيها • وسأحدد لكم موعد الدورة
الثانية ، ولكنها لن تكون قبل شهر طويل • واقترح ان
يكون جدول الاعمال فى الدورة القادمة هو « نظم الحكم
بين القديم والجديد » الا اذا جاعتنى اعتراضات كافية
من الاعضاء • والى ان يحين الحين : ارفع الجلسة واعلن
انتهاء الدورة الاولى للمؤتمر • وفقكم الله لما فيه نصر
الفنون والآداب والعلوم الانسانية • وشكرا •
وهنا دوت القاعة بالتصفيق • وانصرف الحاضرون
زرافات ووجدانا بعضهم يصهل وبعضهم يجمجم وبعضهم
يحمم • ولكن كثرتهم الغالبة انصرفت وهى تبتسم فى
طمأنينة المراهق الذى اكتشف فجأة ان شاربى قد اخضر
بحيث يستطيع ان يعبت فيه ويزهو به • وتفرقوا بين
فتريسات شارعى سليمان باشا وقصر النيل ، كل يبحث عن
هدية لزوجته تنفيذا لقرارات المؤتمر الذى برأ نساء
مصر من ذلة الاماء ومن خلاعة القيان : تلبة بانكيك او قلم
احمر شفائف او زجاجة بارفان ، بعد ان تأكدوا من ان
رجال العرب فى العصر الذهبى كانوا يهدون لزوجاتهم أدوات
الزينة ، حتى عز الدين ايدمر المحيوى والخشداش ايواظ
وأعاطبوزادة وأبو سنة ذهب لولى دخلوا جماعة الى دكان
هانو واشترى كل منهم لزوجته فستان سهرة من موضنة
اللامعقول استنادا الى ما قالته كتب العرب عن المتجردة

زوجة النعمان بن المنذر • وأما أبو الفتوح الصباح فقد
جره المجاهد بن الشماخ قائلاً : اسمع يا أخى • طبعاً
نحن لن ننفذ قرارات المؤتمر • يجب أن نتواري عن العيون
حتى يرتفع هذا البلاء • هذا ما جرته علينا وثنية اليونان
وصليبية البابوات وبلشفية المعاصرين وجاهلية القرن
العشرين •

((انتهى))

للمؤلف

- ١ - The Theory and Practice of Poetic Dicti on. -
M. Litt. Dissertation, Cambridge University.
- ٢ - « فن الشعر » لهوارس - الناشر : مكتبة النهضة
المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ . (كتب في كامبريدج ١٩٣٨) .
الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
القاهرة ١٩٧٠ .
- ٣ - « برومثيوس طليقا » للشاعر شلى . الناشر :
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦ . الطبعة الثانية :
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ .
- ٤ - « صورة دوريان جراى » لاوسكار وايلد . الناشر :
دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٩٤٦ . الطبعة الثانية : دار
المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- ٥ - « شبح كانترفيل » لاوسكار وايلد . الناشر :
دار الكاتب المصرى ، القاهرة ، ١٩٤٦ .
- ٦ - « بلوتولاند » وقصائد أخرى : « من شعر
الخاصة » . الناشر : مطبعة الكرنك ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
(نظم بين ١٩٣٨ و ١٩٤٠ بكامبريدج)

- ٧ - « في الأدب الانجليزي الحديث » • الناشر :
مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠ . الطبعة الثانية :
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ •
(بحوث نشر أكثرها في مجلة الكاتب المصرى خلال
١٩٤٦ و ١٩٤٧) •
- ٨ - Studies in Literature, Anglo - Egyptian
Bookshop, Cairo, 1954.
- ٩ - « خاب سعى العشاق » لشكسبير • الناشر :
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، الطبعة الثانية : دار المعارف
١٩٦٧ (ترجمت ١٩٥٥) •
- ١٠ - « دراسات في أدبنا الحديث » • الناشر : دار
المعرفة • القاهرة ، ١٩٦١ • (بحوث نشر أكثرها في جريدة
« الجمهورية » عام ١٩٥٤ وفي جريدة « الشعب » خلال
١٩٥٧ و ١٩٥٨) •
- ١١ - « الراهب » : مسرحية تاريخية • الناشر : دار
ايزيس ، القاهرة ، ١٩٦١ •
- ١٢ - « دراسات في النظم والمذاهب » • الناشر :
المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٢ • الطبعة الثانية : دار
الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٧ •
- ١٣ - « المؤثرات الأجنبية في الأدب العربى الحديث »
الجزء الأول : « قضية المرأة » الناشر : معهد الدراسات
العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٢ • (محاضرات القيت على
طلبة المعهد) •
- ١٤ - « المؤثرات الاجنبية في الادب العربى الحديث »
الجزء الثانى : « الفكر السياسى والاجتماعى » الناشر :

- معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٣ . الطبعة الثانية . الناشر : دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٤ . (محاضرات أقيمت على طلبه المعهد) .
- ١٥ - « الاشتراكية والأدب » . الناشر : دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٣ . الطبعة الثانية : دار الهلال القاهرة ، ١٩٦٨ . (بحوث نشرت في « الجمهورية » خلال ١٩٦١ وفي « الأهرام » خلال ١٩٦٢ و ١٩٦٣) .
- ١٦ - « الجامعة والمجتمع الجديد » : الناشر : الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- ١٧ - « دراسات في النقد والأدب » . الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٤ . الطبعة الثانية : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ١٨ - The Theme of Prometheus in English and French Literature (Ph. D. Dissertation, Princeton University, 1955). Ministry of Culture, Isis House, Cairo, 1963.
- ١٩ - « المسرح العالمى » . الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- ٢٠ - « البحث عن شكسبير » . الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، الطبعة الثانية : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٢١ - « نصوص النقد الأدبى عند اليونان » . الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ٢٢ - « مذكرات طالب بعثة » . الناشر : روز اليوسف سلسلة الكتاب الذهبى ، القاهرة ، ١٩٦٥ . (كتبت فى ١٩٤٢)

- ٢٣ - « دراسات عربية وغربية » • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ٢٤ - « على هامش الغفران » الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ٢٥ - « العنقاء : أو تاريخ حسن مفتاح » الناشر : دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ (رواية كتبت بين القاهرة وباريس بين ١٩٤٦ و ١٩٤٧) .
- ٢٦ - « آجاء متون » لاسخيلوس • الناشر : دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ٢٧ - « المحاورات الجديدة : أو دليل الرجل الذكي الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » • الناشر : دار روز اليوسف ، القاهرة ، ١٩٦٧ . الطبعة الثانية : دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ١٩٨٦ .
- ٢٨ - « الثورة والأدب » • الناشر : دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ . الطبعة الثانية : دار روز اليوسف
- ٢٩ - « أنطونيوس وكليوباترا » لشكسبير • الناشر : دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ٣٠ - « حاملات القرايين » • لاسخيلوس • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٣١ - « أسطورة أوريسست والملاحم العربية » • الناشر : دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٣٢ - « الصافحات » لاسخيلوس • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- ٣٣ - « تاريخ الفكر المصرى الحديث » : من الحملة أنفرنسيه الى عصر اسماعيل • (جزآن) • الناشر : دار

- الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٩
- ٣٤ - « الجنون والفنون في أوروبا ٦٩ » • الناشر :
دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧٠
- ٣٥ - « دراسات أوروبية » • الناشر : دار الهلال ،
القاهرة ، ١٩٧١ •
- ٣٦ - « الحرية ونقد الحرية » • الناشر : مؤسسة
التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ •
- ٣٧ - « الوادى السعيد » • الناشر : لصوميل
جونسون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ •
- ٣٨ - « رحلة الشرق والغرب » • الناشر : دار المعارف
القاهرة ، ١٩٧٢ •
- ٣٩ - « ثقافتنا في مفترق الطرق » • الناشر : دار
الأداب ، بيروت ، ١٩٧٤ •
- ٤٠ - « أفنعة الناصرية السبعة » • الناشر : دار
القضايا ببيروت : الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٦ : الطبعة
الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٦ •
- ٤١ - « لمصر والحرية » • الناشر : دار القضايا ،
بيروت ، ١٩٧٧ •
- ٤٢ - « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصر اسماعيل
الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الأول : الخلفية التاريخية : الجزء
الأول) • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ •
- ٤٣ - « مقدمة في فقه اللغة العربية » • الناشر :
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ •
- ٤٤ - « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصر
اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الأول : الخلفية التاريخية ،

الجزء الثاني) • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
• ١٩٨٤

٤٥ - « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصر
اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الثانى : الفكر السياسى
والاجتماعى) الجزء الثالث ، الناشر : مكتبة هدى
القاهرة ١٩٨٦ •

٤٦ - « اقنعة اوروبية » • الناشر : دار ومطابع
المستقبل ، القاهرة ١٩٨٦ •

رقم الايداع
٨٦/٣٨٢٩

مطبعة الطويل
٤٧ شارع نظيف - روض الفرج
تليفون : ٩٤٠٨٧٩

محاورات الدكتور لويس عوض الجديدة
هى الأفكار التى تراوده فى مواضيع الفكر
والسياسة والاجتماع ودليل قارنه الذكى إلى
الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب
الفكرية .



التقبل بالفيحاء والبركزية
والموسسة لمارف ببيروت